الفوارس

الأميرة نهر الأحلام

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

قصص حكايات

الفوارس

٥

جمال شاهين

١٩٩٣

الأميرة

نهر الأحلام

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

قصص وحكايات الفوارس

جمال شاهين

الأميرة نهر الأحلام


الأميرة
نهر الأحلام

الأميرة نهر الأحلام

قال الراوي حدثنا جابر بن نادر عن ملك الزمان ونادرة العصور والأيام الملك جعفر بن عاد صاحب مدينة الأبراج ، التي نقل الرواة والقصاص أخبارها لأهل الدنيا للعبرة والعظة والذكرى في ليالي الشتاء الباردة ، وذلك عندما يجلس الشيوخ والشباب حول مواقد النيران للاصطلاء والترويح عن النفس ، وإزالة هموم الدنيا وأتراحها في سير وأيام الماضيين .

قال الراوي حدثنا جابر بن نادر صاحب الحكايات والنوادر عن الملك جعفر بن عاد بأنه كان من ملوك الزمان ، وهذا الملك قد ورث الملك عن الآباء والأجداد فأحسن وأجاد ، وبنى البلاد وزادت عساكره كرات وكرات ، وانتشر في عهده الأمن في طول البلاد وعرضها ، وكثرت في أيامه المدارس والعمارات وأماكن الشفاء ، وكان هذا الملك رغم ما تحته من جند وقوات يحب العدل في الرعية ، والناس كلهم عنده سواء ، ويكره ويبغض الظلم والاعتداء ؛ ولكنه عندما يغضب لا أحد يستطع منعه مما يريد أن يفعل ، وأخباره في الرعية مليحة وجلية ، ويعتبر من فرسان وأبطال ذاك الزمان ، ويحب الفرسان واعتلاء صهوات الخيل ويعشق المبارزات ، وكان له من البنين ثلاثة ومن البنات واحدة في سن الزواج ؛ ولكنها كما تقول لا رغبة لديها بالزواج لا من الملوك ، ولا من الأمراء ، وأبوها الملك لا يريد إرغامها على ذلك ، فقد ترك لها الحرية والانتظار، ونزل عند رغبتها ، فهو لها محب ولأمرها مطيع .

قال الراوي أخبرنا جابر بن نادر أنه لا يخلو زمان من ملوك متعادين متنافسين لوجود الحسد والطمع وغير ذلك من الصفات القبيحة في طبع البشر، اتصل قائد الجيش الأكبر بالملك جعفر ذات ليلة وأخبره أن جنوب البلاد يتعرض لغزو من الملك فوزان صاحب مدينة التاج ، وأن قوات مدينة الأبراج تصد ذلك الهجوم ببسالة ، ويطلبون المزيد من الفرسان والخيل والرايات .
فقال الملك لقائده : جهز لي فرقة من خيار الجنود ، وسأرافقهم كجندي من غير أن يعرفون أني معهم .. وشدد الحراسة على جميع الحدود أيها القائد! وعندما تجهز الفرقة للسير أخبرني حتى ألتحق بهم ، ولا تقل لهم أنني سأسير معهم فليبق الأمر بيننا أيها الفارس سرا .

وما أصبح الصباح حتى كان القائد يخبر الملك بتجهيز فرقة الفرسان ، وأنهم مستعدون للانتقال إلى البرج الجنوبي للدفاع عن ثرى الوطن والملك والعباد ، وتنكر الملك بلباس الفرسان ، والتحق بجنود الفرقة كجندي من جنودها ، ومشت الفرقة نحو الجنوب ، وفي نهار اليوم التالي كانوا قد وصلوا الحامية، فاستقبلوهم بفرح كبير، وارتفعت معنويات وهمم جنود الحامية وارتفع صياحهم وصراخهم ، وشارك الملك جعفر الجنود في الدفاع عن البرج الجنوبي كجندي من الجنود ، ورأى قادته يعملون بالميدان ، وشاركهم في الهجوم المضاد على جيش فوزان الذي أوقعوا فيه الخسائر الفادحة ، وأسروا أسرى لا تعد ولا تحصى من جنوده ، ولما لاحظ فوزان الهزيمة التي حلت بجيشه هرب وطلب النجاة، وعاد لبلاده مهموما مغموما يندب حظه السيئ في اكتساح مدينة الأبراج وأخذ الجزية منها والخراج .

وبعد هرب جيش فوزان اجتمع قادة البرج الجنوبي للتشاور ، فقال أحدهم : أرى أن فوزان هزم هزيمة ساحقة نكراء لو أننا نتابع المسير فقد نحتل مدينة التاج ونلحقها بمدينة الأبراج .

ووافقه بعض القادة على ما قال وشار، وقال آخرون : نحن مهمتنا الدفاع عن البرج الجنوبي ، وبما أنه قد انهزم فلنضمد جراحنا .. فالهجوم على مدينة التاج يحتاج إلى قوات أكثر، والاحتلال قد يحصل ؛ ولكن البقاء هناك لن يكون سهلا ميسورا .. فهؤلاء القوم لا يحبون ملوكنا منذ عهد قديم فلا يرضون بتسلطنا عليهم .. ولا تنسوا أيها القادة مشكلة الأسرى فهم كثيرون ويحتاجون لطعام كثير.

فعندئذ قال قائد البرج الجنوبي بعدما سمع آراء القادة والمستشارين : القائد الكبير أيها السادة قادم إليكم.. وسنعرض عليه آراءنا ونسمع منه الرأي الفصل .

قال جابر بن نادر : كان الملك ابن عاد مع الجنود كل هذه المدة كجندي من جنود الملك جعفر فلم يظهر لهم نفسه إلى أن جاء القائد الأكبر للجيش وهنأهم على النصر ، وأثنى على شجاعتهم ودفاعهم عن حياض البلاد وحماية العباد من غزو الملك فوزان ، وقد التقى القائد بالملك الجندي مما أثار حيرة الفرسان ، وقد استغربوا من لقائه في بداية الأمر بهذا الجندي الغامض ، وتعجبوا

أكثر عندما سمح له كبير القادة بحضور اجتماعهم الخاص ، وكم كان وقع المفاجأة عليهم شديدا عندما علموا أن هذا الجندي الذي قاتل معهم ببسالة وشجاعة ملكهم المحبوب جعفر بن عاد ، فأخذوه بالعناق والتقبيل مما أدهش الحرس فهرعوا لخيمة الاجتماع فحصل لهم مثلما جرى لإخوانهم القادة ، وعم الفرح بين الجنود عندما علموا أن الملك بنفسه شاركهم المعركة متخفيا ، وأصبح ابن عاد حديثهم والكل يتحدث عن بلائه وقتاله ، فملك قلوبهم قبل أبدانهم وأمر الملك بمكافأة الجنود وأن يجزل لهم العطاء، ويواسى من جرح وأصيب ويهتم به ، ويراعى أسر القتلى الذين ضحوا من أجل الوطن ، وعاد الملك مع الفرقة التي انطلق معها إلى قلب مدينة الأبراج وعاصمة الملك إلى برج الأبراج .

فرح الشعب بالنصر المؤزر على الملك فوزان ، وتمنوا لو وقع أسيرا كالكثير من رجاله ، وعلم الشعب بمشاركة الملك الجيش المعركة على صورة جندي معرضا نفسه لسيوف الأعداء ، فارتفعت محبته عند أبناء الشعب ، وعمت الأفراح في طول البلاد وعرضها بسبب هذا النصر وجاء وفد الملك فوزران يطلب العفو عن الأسرى والاعتذار عن الحرب ، ودفعوا الأموال الكثيرة والعزيزة لفداء الأسرى ، فرضي الملك جعفر بذلك وعفا عنهم، ورجعوا لبلادهم في لباس الذل والعار يستعدون لأخذ الثأر والانتقام من أهل مدينة الأبراج في يوم من الأيام .

قال جابر بن نادر علمت ابنة الملك جعفر بن عاد بالنصر الكبير الذي أحرزه والدها الفارس الشهير ، فقررت زيارته للتهنئة والتبريك برفقة جواريها السبع، فأعلمت قائد الحرس لقصرها برغبتها تلك ، فجهز لها العربة الملكية الخاصة بها وبجواريها ، وأمر القائد سبعة من الفرسان بمرافقتها حيث قصر والدها ، وكانت الأميرة الصغيرة نهر الأحلام تسكن مع والدتها قي قصر خاص بشمال البلاد ، وكان والدها يتردد عليهم بين الحين والآخر يتفقدهما ويسمر معهما، وكانت تزوره في الشهر مرتين ، وأحيانا مرة واحدة فقط إذا كان والدها مشغولا بمعركة كما حدث خلال الأيام الماضية ، استقبلها جعفر بن عاد أحسن وأجمل استقبال ، وفرح بتهنئتها له بالنصر على الملك فوزان .. ومعروف أن الفرسان والأبطال يحبون سماع كلمات المدح والثناء

وخصوصا من النساء الجميلات ، ومكثت عنده حتى المساء وتناولت معه الغداء، ثم ودعها وداعا لائقا بابنته الوحيدة الحسناء التي هي حديث كل الشبان والأمراء في مدينة الأبراج ، انصرفت ومعها جواريها السبع وحرسها السبعة بدعاء وإعجاب الوالد بأميرته الصغيرة ذات الست عشرة ربيعا .



قال الراوي : كما تعلمون يا سادتنا الأفاضل أن السعد والفرح لا يدوم، ولابد من الحوادث والعوارض والاختبار ، وقبل الوصول لقصر الأميرة في مدينة البرج الشمالي تعرض موكبها لمجموعة كثيرة من الفرسان ، ونشبت معركة بين الطرفين انهزم على أثرها حرس الأميرة بين قتيل وجريح ، وقد نزل رجل من الرجال المهاجمين، واقترب من مركبة الأميرة ،وطلب من الأميرة النزول بهدوء وإلا تعرضت هي ووصيفاتها للقتل ، فبكت الجواري بكاء مرا ، ولم تتكلم الأميرة ولم تمانع في النزول من مركبتها الملكية ، وحملت على حصان مع مختطفيها وتحرك الرجل وفرسانه وجرحاهم في جنح ذلك الظلام إلى مكان في تلك الجبال الشواهق ، علم ابن عاد بالقصة ، فغضب غضب الملوك من قومه لهذه الإهانة الكبيرة التي لحقت به ، وأمر بحبس من بقي حيا من حرس الأميرة ، وطلب من قائد الجيش التحقيق في الأمر بأسرع وقت ،وتعقب آثار الخاطفين والبحث عن الأميرة نهر الأحلام بنت جعفر

مضت سبعة أيام ولا شيء ولا خبر عن الأميرة ، فعرض الملك مكافأة كبيرة لمن يدلي بشيء يرشد للوصول إليها ومعرفة الخاطفين ، وهذا الإغراء لم ينفع في الكشف عن تفاصيل جديدة فتعجب الملك وكاد يفقد صوابه لهذه الجريمة ، فاجتمع بمستشاريه وقواده وخرجوا بنتيجة واحدة أنها تعرضت لمؤامرة محكمة ومدبرة بذكاء وحرص ، واستغلوا فرحة الشعب بالنصر المظفر ، فدخل الجواسيس البلد وخطفوا الأميرة ، فالتقى جعفر بن عاد بأبنائه الثلاثة سيف

النهار وسيف الليل وسيف الفجر وطلب منهم البحث عن أختهم في كل بقاع الدنيا ، فخرجوا متخفين يتنقلون بين المدن والقرى، ويقطعون الجبال والوديان باحثين عن الأميرة نهر الأحلام، ومضت شهور ستة ولم يعد أحد منهم ، فقرر الملك أن يأتي أحد قادة أبيه الكبار كان أبوه أوصاه أن يستمع مشورته وكلامه ، وفي خضم هذه الكارثة نسي جعفر هذا الرجل فزاره بنفسه ..وكان هذا القائد العجوز من أصحاب وأصدقاء الملك عاد ، وبعد الترحيب والود قال الملك : أيها السيد الكبير لقد فطنت لك فجئت إليك لأسمع نصحك وقولك بما عصف بنا هذه الأيام من اختفاء الأميرة وإخوانها الثلاثة ..بعد نصرنا الكبير على الملك فوزان ملك مدينة التاج .

وقص الملك جعفر التفاصيل التي تجمعت لديه ممن ظل على قيد الحياة من حرس الأميرة ومن جواري الأميرة السبع ، فتنحنح القائد العجوز بعدما سمع الكلام وقال باسما : لقد كنت في انتظارك ولمثل هذا اللقاء مستعد !

فقال الملك جعفر : إنني أنفذ وصية أبي كما تعلم فقد قال لي يا جعفر إذا ضاقت بك هذه الدنيا واحلولكت عليك وكثرت مصائبها .. فعليك بزيارة القائد الشهم شهبان .. وهذه الكارثة رأيت أنها كبيرة وقاسية يا سيدي الفارس فلجئت إليك فساعد ابن صاحبك عاد .

خيم الصمت على المكان المجتمعان فيه فترة من الوقت ثم قال شهبان : أيها الملك أنا رهن إشارتك .. وقد علمت منك القصة المؤلمة ؛ ولكني لم أسمع رأيك حول اختفاء الأميرة ؟.

تبسم الملك ابتسامة مقتضبة وقال : لقد قمنا بالبحث الشديد .. وعيوننا عند الملك فوزان تقول إنه لا علاقة له بالخطف ..وذهب الأولاد يبحثون عن أختهم وما عادوا، ولم يصلنا خبر عنهم ، وكذلك حرس الأميرة ليس لهم يد في هذه الجريمة المعدة .

فقال القائد العجوز مدخلا الطمأنينة على قلب الملك: أتوقع أن الأميرة ما زالت على قيد الحياة لو كان الخاطفون يبغون قتلها لما أخذوها معهم .. مولاي الملك أعتذر لك سلفا عن سوألي التالي .. هل لهذه الفتاة من أحلام وغرام ؟!

تبسم جعفر ثانية : فكرت بهذا أيها القائد .. فكرت بأن يكون لها عشيق أو رفيق ..فالجواري

أنكرن ذلك بشدة وكذلك الخدم وأمها أيضا .. ولو كان لها محب لهربت بطريقة أخرى بدون قتال ودماء .. وهي لم تحدثني بشيء من ذلك سابقا لترى موقفي من هذا العاشق .. بل لم تكن لديها رغبة بالزواج لا من الملوك ولا من أمرائنا .. وأمها ترفض هذه الفكرة بكل قوة والبنت سر أمها .

فعاد شهبان يقول : أكبر أعدائنا الملك فوزان .. فهل أنت متأكد من خبر جواسيسك هناك بأنه جاهل لهذا الأمر ولا علاقة له في القضية ؟

فعاد جعفر يؤكد قائلا : جواسيسنا في قصره وفي مدينة التاج ينفون ذلك .

فقال شهبان : أيها الملك الجواسيس أحيانا لا يعتمد عليهم.. سأقوم بمغامرة إلى مدينة التاج من أجلك أيها الملك .. ومن أجل شرف مملكتنا العتيدة ؛ ولأنك التجأت إليّ عاملا بوصية أبيك الملك عاد .. وسأكون لك كما كنت لوالدك .

فنهض الملك متواضعا وقبل يد القائد الهرم صديق أبيه وشكره على حسن اهتمامه ، وقال شهبان وهو ينهض : بعد شهر أيها الملك أرسل لك خادمي عنبر لتأتي هنا لتعرف نتيجة رحلتي لبلاد التاج .

خرج الملك جعفر إلى قصره وهو متعجب من غرور قائد أبيه أو ثقته الكبيرة بنفسه ؛ ولكن كان عنده أمل ضعيف أن يعود هذا العجوز بشيء مهم من مدينة التاج .

قال جابر بن نادر : الانتظار صعب وليس أمره سهلا ، والأمور تتعقد فلم يعد الأولاد ، فقد فقد الملك جعفر أبناءه الثلاثة وابنته الوحيدة ، وما زال أهل المدينة يخيم عليهم الوجوم والحزن والدهشة ويقولون بينهم بين بعض : من يجرؤ بالاعتداء على الملك جعفر بن عاد؟! ، وقبل أن يعود شهبان علم الملك بتحركات جديدة لعسكر فوزان بالقرب من البرج الجنوبي ولم تحدث أي منازلة ، فقد مضى الشهر الطويل ، وحضر شهبان وأرسل خادمة عنبر للسلطان فجاءه على عجل ولهفة ، وبعد التحية والسلام وحسن الكلام في مثل هذا المقام قال شهبان بدون لف ودوران : يا ملك الزمان ابنتك محبوسة عند ملك بلاد الأوهام هدير بن جرير صاحب بلاد

الأوهام ، وهي بلاد بعيدة تحتاج لشهر من الأيام لتصل إليها .



اهتزت شوارب الملك غضبا ، واحمرت عيناه وسب وشتم ولعن وقال : حدثني عما جرى معك وكيف عرفت ذلك ؟! وما علاقة فوزان بالأمر أيها الفارس الكبير .. لقد صدق والدي العظيم عندما نصحني بالاستعانة بك هات ما عندك ؟!

فقال شهبان : صاحب التاج بعد هزيمته الأخيرة كما تذكر أيها الملك أراد الانتقام منك شخصيا واهانتك ، فاتصل به ملك تلك البلاد لقرابة بينهما وعرض عليه المساعدة ، فوافق فأرسل رجاله لخطف الأميرة نهر الأحلام ، وهذا الأمر لا يتكلم به أحد وغير معروف إلا لعدد قليل من خاصة فوزان منهم صديقي اشهمان ابن عم للملك فوزان ، وأسر لي بذلك شفقة على البنت ، وحقدا على ابن عمه الذي ضيق عليه كثيرا، وأبعده عن عامة الناس ، وأيضا لتنشب الحرب بيننا من جديد هذه هي الحكاية يا ملك الزمان .

فقال جعفر : جزاك الله عنا أيها الفارس الجدير بحمل لقبك .. علمنا بتحركات لجيش فوزران قرب البرج الجنوبي فما سمعت عنها ؟

قال شهبان : هي تحركات فحسب.. فالضربة الأخيرة التي أصابتهم كانت قوية وشديدة .. وهم حاقدون علينا ويستعدون للثأر ورفع العار .. ولكنّ جيشهم مضعضع وضعيف في هذا الحين ، وكما علمت فهو يشتري الرجال والفرسان من هنا وهناك ، ويريد أن يستغل انشغالك بالبنت وقد يعمل شيئا ما ؛ ولكن تجميع الجنود المرتزقة وإقناعهم بالمال وغيره يحتاج لوقت طويل ورجالنا في الجنوب أشاوس .

فقال جعفر : ما تنصحني به أيها الفارس القدير؟

أجاب الفارس العجوز بقوة وحقد : أرى أن نذهب إلى مدينة الأوهام .. وندخلها من باب الشرق أي نلتف على المدينة ، ونحاول الاتصال بالأميرة نهر.. ونتعرف المدينة جيدا .. وبعد حين يلحق بنا الجنود ويكون لقاؤنا ببلدة السحرة التي تبعد عن بلاد الأوهام بضعة أيام ..

فالثار الثأر يا مولاي! حتى نسترد كرامتنا وسمعتنا في البلاد وبين العباد .. وتظاهر أنت بالمرض وأنك منزو في قصرك .. وبعد شهر من مسيرنا يتحرك قائد الجيش بعشرة آلاف فارس فقط .. ونجتمع ببلدة السحرة .

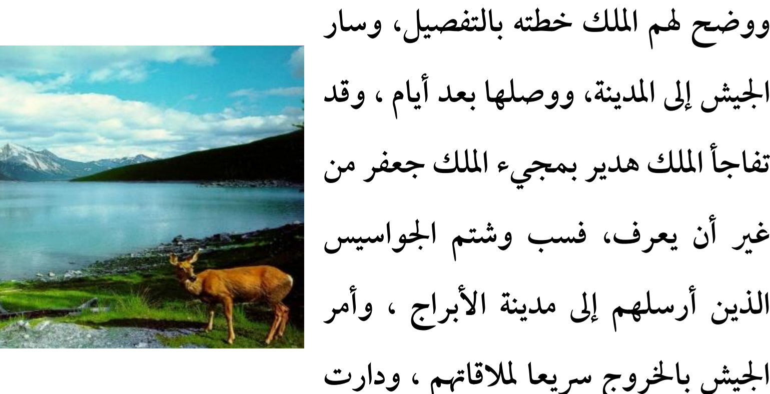
قال الملك : سأطيعك أيها القائد الشيخ ما قصر والدي في نصحي من الاستعانة بك عند الملمات والشدائد .. فأنت نعم الصديق الوفي لعرشنا وملكنا ولكرامتنا هكذا يكون المخلصون

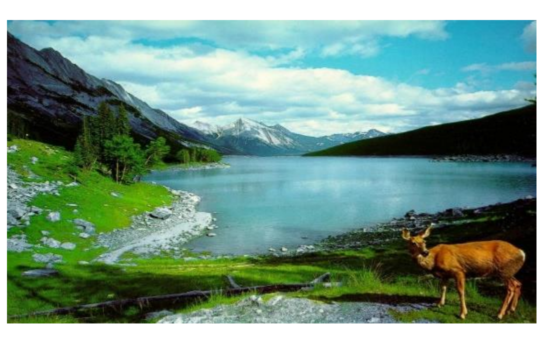
وانصرف ابن عاد لقصره يفكر ويدبر ويرتب الأمور مع الأعوان المخلصين، وقد أعجبه تخطيط شهبان العجوز ، فاستدعى وزيره سعيدا وقائد جيشه شبل بن رشاد ، ورتب معهم الأمر بسرية تامة ، وطلب منهم أن يذيعوا خبر اعتكاف الملك في قصره لحزنه على ما أصابه من المصائب ، وأنه وكل وزيره بالقيام على أمور المملكة وقيادة الجيوش ، وخرج هو وشهبان من المدينة خفية تحت جنح الظلام ومعهما خادم شهبان عنبر ، وجدا في السير حتى دخلا مدينة الأوهام من باب الشرق على صورة رعيان معهما قطيع من الأغنام قاموا على بيعه في المدينة، ونزلوا في أحد الخانات الصغيرة البعيدة عن قلب المدينة ، وبعد أيام تحقق لهما أن الملك هدير بن جرير هو الذي خطف الأميرة ، وأنها رهينة في أحد قصوره ، والعجب أن اخوتها أسرى عندها وقعوا في قبضة الملك هدير ، وأنهم في انتظار إتيان الملك جعفر الذي لابد أن يحضر للبحث عن ابنته وأولاده فيقع في المصيدة، فأدرك الملك جعفر ذكاء شهبان مرة أخرى فباب الشرق هو الباب المعاكس للباب الذي هو في اتجاه بلادهم ، فهم يرقبون دخول الأغراب من الباب الغربي فاطمئن الملك على حياة أبنائه ، وأنهم بخير ، وصعب عليهم الاتصال بهم حتى لا ينكشف أمرهم ، فخرجا مرة أخرى من باب الشرق على أنهما من رعايا ملوك الشرق واتجهوا إلى مدينة السحرة الخالية من الأهالي ، فوجدوا القائد شبل بن رشاد والجنود في انتظارهم ، ولما أطمأن الملك أن حركة هذا الجيش الجرار تمت بأكبر قدر من السرية والتمويه استبشر بالنصر والفرج ، فاجتمع الملك بقادة الجند الذين تفاجئوا بوجوده بينهم ، وحضر لقائهم القائد المخضرم شهبان ، فخطبهم الملك قائلا : أيها القادة الأبطال! تعلمون أن إهانة الملك إهانة لجيشه وشعبه.. فقد أراد أحد

البغاة تنغيص فرحة الأمة بالنصر الكبير على جنود الملك فوزان ، فقد تجرأ أحد الملوك الصعاليك ملك مدينة الأوهام على خطف ابنة الملك جعفر بن عاد حفيد الملوك العظام من آل عاد .. وهو لا يعلم أن ابنة الملك هي ابنة الشعب كله ..

هاج القادة لكلام الملك وهددوا وتوعدوا ، وكان شهبان يشير لهم بالهدوء فلما سكتوا تابع الملك جعفر قائلا : وهذا عار كبير علينا أن لا نثأر لكرامتنا وشرفنا الذي ورثناه عن الآباء والأجداد وقد زرت هذه المدينة بنفسي ، وتأكدت من وجود الأميرة واخوتها في قبضة الحقير هدير بن جرير الذي ينتظر قدومي ليعتقلني ، ويتزوج ابنتي رغم أنفي كما يحدث حاشيته بذلك والجنود وبعد أن هدأت همهمات القادة الغاضبين الناقمين على بلاد الأوهام قال جعفر الملك : اعلموا أيها الأشاوس أنني زرت المدينة خفية أنا والبطل الكرار شهبان، وعرفنا القصر الذي يحبس به الأمراء ، وعرفنا موقع قصر ابن جرير واطلعنا على أحوال المدينة .

سكت الملك فجأة ثم هتف بقوة وحقد وغضب : أيها الأبطال عليكم بتدمير هذه المدينة تدميرا كاملا استعادة لشرفنا الذي أهدر حتى لا يطمع بنا طامع بعد اليوم، وعليكم حرقها وسحقها عن بكرة أبيها وأسر سادتها وإنقاذ الأمراء .. هذا ما يجب أن يفعله جنود جعفر بن عاد .. الموت لمدينة الأوهام عليها أن تهجر كما هجرت هذه البلدة التي نحن معسكرون فيها .





ووضح لهم الملك خطته بالتفصيل، وسار الجيش إلى المدينة، ووصلها بعد أيام ، وقد تفاجأ الملك هدير بمجيء الملك جعفر من غير أن يعرف، فسب وشتم الجواسيس الذين أرسلهم إلى مدينة الأبراج ، وأمر الجيش بالخروج سريعا لملاقاتهم ، ودارت رحى الحرب بينهم؛ وكان فرسان بلاد الأبراج أشد بأسا وقوة ، فتقهقرت جنود الملك هدير أمامها، واقتحم الفرسان والجيش الغازي المدينة ، وهرب الناس منها ، وحاصر جعفر قصر

الملك هدير ، وأرسل قوة إلى سجن الأمراء ، وقوة أخرى تطارد الفرسان الهاربين ، وتم حرق المدينة عن بكرة أبيها ، وكانت الناس قد هربت إلى الجبال والوديان ، وأسر الملك هدير وحاشيته وتم تحرير الأمراء وترك الجيش الغازي المدينة قاعا صفصفا ، وأصبحت خرابا بعد أن كانت عمارا ، وأصبحت عبرة لمن اعتبر ، وعاد جيش الملك جعفر إلى مدينة الأبراج بما غنم وأسر وسبى ، وقد وضع الملك هدير بالقيد والذل والعار حتى وصلوا لمدينة الأبراج ، فخرج الناس لاستقبال القائد المظفر بعد طول غياب ، وقامت الأفراح والليالي الملاح عشرة أيام ، والناس يأكلون على مائدة الملك جعفر بسبب نجاة الأمراء، وسمع الملك فوزان بهذه الأخبار فازداد غما بغم وحسرة بحسرة ، وبعد أن ارتاح الملك جعفر ، وعاد له هدوءه أحضر الملك هديرا ووزراءه بالقيود أمامه ، ولما رآه جعفر هاج غضبه من جديد وصاح فيه : أيها الوغد أتجرؤ على خطف بنات الملوك ؟! وتريد إرغامهن على الزواج .. تكلم أيها الذليل المهان!.

ابتسم الملك الأسير وقال بكبرياء : لا تنس أيها المتكبر أنك تخاطب ملكا مثلك .. والدنيا دول فتكلم معي بأدب وأحسن كلام .

قال جعفر مقهقها : أتكلم معك بأدب ؟! وهل تعرف الأدب يا خاطف بنات السلاطين ؟! .

فرد هدير قائلا: لها أكثر من نصف سنة في قصري.. ولم أفعل بها شيئا .. كنت في انتظارك لنتفاهم .

فصاح جعفر بحنق : ما أحمقك يا هذا! وهل تعتقد أنني سأقبل بتزويجك إياها بهذه الحيلة الرخيصة يا جبان ؟! .. حاشا لله أن أفعل ذلك حتى لو انتصرت عليّ وأصبحت أسيرك .. فماذا تظن أني فاعل بك ؟

ضحك هدير وشامتا بخصمه : وهل بعد الموت شيء ؟! افعل ما بدأ لك .

فقال جعفر بغضب شديد : ستصلب عشرة أيام في ميدان البرج الأوسط ، ثم تقتلك عشرة كلاب جائعة ؛ لتكون خبرا لكل ملك جبان مثلك يتطاول على آل عاد .. وسيكون معك رجالك الأنذال .. أنتم تجهلون الملوك من آل عاد إذا غضبوا .. يا شبل بن رشاد سمعت أمري

فنـفذه سريعا في هؤلاء الأوباش .

قاد الجنود الأسرى لتنفيذ رغبة الملك ، ثم تذكر الملك جعفر أنه لم يشاور شهبان القائد العجوز بهذا الحكم ، فصاح قائلا : اذهبوا بهم الآن للسجن؛ فإني لا أحب العجلة في أمرهم .

وقام الملك من جديد بزيارة شهبان وشكره على شجاعته ومشاركته في هذه المعركة الشاقة مع كبر سنه ، وعرض عليه الوزارة أو الجيش فأبى واعتذر وقال : يا سيدي الملك !أنا رجل عجوز لا أصلح للخدمة العامة .

فرد عليه جعفر : أنت بركة مدينة الأبراج ، ورجلها الذكي الشجاع ..وسأمنحك لقب فارس الفرسان أيها القائد الكبير .. والآن أشر عليّ بشأن الجبان الغادر هدير وأعوانه .

وقد ذكر له مقابلته لهم ، وما توعدهم به من صلبهم وإطعامهم للكلاب الجائعة .

فقال شهبان بكل هدوء : افعل ما بدأ لك ؛ لعل الملك فوزان يرتدع وينخلع قلبه عند سماع هذه الأخبار .. وإن عفوت أيضا فهو سيموت بحسرته وندمه.. فافعل ما شئت يا ابن أخي .

ضحك جعفر وقال : حيرتني أيها القائد! وسلام الله عليك .



ولما وصل لديوانه أمر قائد الشرطة بقتل هدير ورجاله وصلبهم ، ثم إطعامهم للكلاب المتوحشة في ميدان البرج الأوسط ، ثم قام الملك بزيارة ابنته نهر الأحلام في قصرها واستمع لحكايتها فقالت : أيها الملك .. بعد أن تناولت الطعام مع شخصكم الكريم ، وقفلت عائدة لقصري برفقة فرساني ووصيفاتي تعرضنا لمجموعة من الفرسان على حين غرة ، وبعد معركة قصيرة أخذوني، ولم يؤذوني في الطريق مع طولها بل كانوا يكرمونني حتى دخلنا مدينة الأوهام واستقبلني الملك هدير ورحب بي واعتذر عن طريقة خطفي ، وأبلغني رغبته بالزواج مني ، وأنه لم يجد طريقة لموافقتي إلا هكذا ، فوبخته وحقرته ، فأمر بحبسي حتى ألين مع الأيام، ثم

أعاد الكرة معي في شأن الزواج ، وبعد أن فكرت في الأمر قلت له لن أتزوج دون رضا والدي.. فأخبرني أنك ستوافق وستأتي إلى هناك لتبحث عني ، وأمر باعتقال كل رجل غريب يدخل من الباب الغربي للمدينة أي من جهة بلادنا ، فجاء اخوتي فوقعوا في قبضته ، وكان واثقا من مجيئك وكثيرا ما يردد ذلك ، وأنك ستوافق على زواجنا ، فسايرته حتى تحضر فحضرت ومعك الجيش هذه هي قصتي يا ملك الزمان.. واعلم أنه لم يمسسني سوء كل فترة السجن .

فقال جعفر : لقد انتهى اليوم فقد أصبح من الأموات .. الحمد لله على نجاتك من براثنه .. ويا أيتها الأميرة ! لقد بلغت سنا يسمح لك بالاقتران برجل .. وبعد هذه الحادثة لابد من الزواج حتى لا يطمع بك أحد السفهاء كما حصل لك منذ شهور.. فعليك أن تهيئ نفسك للزواج من فارس من الفرسان وبطل من الأبطال .. فما تقولين؟

فوعدت الأميرة والدها الملك بالتفكير بهذا الأمر جديا ، فودعها ووعدها بلقاء قريب ليسمع منها ما يطمئن قلبه من الصفات التي ترغبها في زوج المستقبل، وعاد إلى قصر وديوان حكمه .



قال جابر بن نادر : صبر الملك شهورا أخرى، وكان كلما التقى بها قالت إنها تفكر وترسم صورة زوجها المنتظر ، ولما أدركت الأميرة أن والدها مصمم على تزويجها ، وأن صبره بدأ ينفد وجدت الحيلة التي تنجيها من ذلك ، ففي إحدى المرات عندما فاتحها بموضوع الزواج قالت : أيها الملك السعيد سأوافق على الزواج من أي شاب يحقق لي ثلاثة طلبات، مهما كان هذا الشاب حقيرا أو عظيما غنيا أو فقيرا .. اعلم أنني لن أتزوج كأي فتاة فأنا الأميرة نهر الأحلام ابنة الملك جعفر بن عاد سليل الملوك العظام من آل عاد ملوك مدن الأبراج .

بعد جدل وتأمل قال الملك مستسلما لهوى ابنته: حسنا أيتها الأميرة !.. سأوافق .. ولكن كيف يكون زوجك من عامة الناس ، وترضين به وأنت من سلالة الملوك العظام من آل عاد ؟

فقالت : يا أبي من استطاع تنفيذ شروطي يستحق أن يكون ملكا ولو كان من الرعاع وحتى

من أوباش الناس وأدناهم .

فقال الملك وقد مل الجدل : ما هي هذه الشروط المعجزة ؟!

قالت : معذرة يا أبي! قبل أن تعرف شروطي عاهدني عهدا صادقا أنه من وفّى بها أوفينا له .

فقال جعفر مستسلما ومذعنا: سأعلن هذا على الملأ وفي كل مملكتنا .. فما هي هذه الشروط الكبيرة التي تسمح للرعاع بمصاهرة آل عاد ؟!

قالت نهر الأحلام : طلبي الأول أيها الملك .. هو رأس سبع الغاب سبع ملك السودان من مدينة السدود .

فذعر الملك جعفر لهذا الطلب ، وأدرك أن ابنته مازالت مبغضة للرجال فقال : طلب غريب وعجيب.. وهذا أمر صعب تحقيقه يا ابنة الكرام ؟!

فقالت بجد وابتسام : وكيف أتزوج رجلا إذا لم يكن زوجي ذا قلب أقوى من الصخر الجلمود وفارس شديد البأس تشهد له الأقران والأبطال بالفروسية ؟!

فقال : قد يطول الأمر ولا تتزوجين ؟

فقالت : لست بشوق كبير للرجال .. فمن حقق طلباتي كان جديرا بي رغم أنفي .

فاستسلم الملك من جديد وقال : والمطلب الثاني ؟

فقالت : يا ملك الزمان عند ملك السودان هذا حصان لا مثيل في هذا الزمان اسمه عادل البحر لا يركبه إلا بطل من ظهر بطل.. ولي رغبة في أن يكون هذا الجواد بين خيولي .

فقال جعفر : أوه يا ابنة جعفر !! من نجا من الأولى لا أظنه ينجو من الثانية .. فكيف الشرط الأخير ؟!

فابتسمت ابتسامة غامضة وقالت : يا ملك الزمان أسمع أن ملك السودان رجل ظالم وطاغية وتخليص العباد منه نعمة كبيرة .. فلو أحضر لي فارسي الحبيب رأسه فهو فعلا يستحق أن يملكني وأن أصبح له أسيرة وأم أولاده .. فهذه مطالبي الثلاثة يا أيها العظيم !

فقال بعد صمت وذهول :وكيف نتأكد من تحقق هذه المطالب ولا نخدع ؟!

فضحكت وقالت : هذا أمر هين أيها الملك .. فسبع الغاب كما علمت من الركبان والقصاص على عنقه قلادة من الذهب عليها رسومات ونقوش تدل عليه ، والحصان عليه نفس القلادة وأيضا رأس العبد يحمل هذه القلادة فلو خدعنا بالأولى فلن نخدع بالثانية والثالثة فإذا اجتمعت هذه القلائد ثبت عندي صدق الرجل .

خرج الملك جعفر من عند ابنته ، وهو في غاية الذهول والاستغراب لشروطها الثلاثة ؛ ولكنه قال لنفسه : لنجرب ونساير؛ لعلنا نعرف فارسا قويا لهذه الدرجة من الشجاعة في هذا الكون والتقى بوزيره سعيد وطلب منه أن يعلن هذه الشروط على الشعب ، وأن الملك يرغب بتزويج ابنته الوحيدة الأميرة نهر الأحلام لكل إنسان من كل بلاد الدنيا إذا حقق لها شروطها ومطالبها الثلاثة بغض النظر عن أصله وفصله ، انتشر الخبر في مدينة الأبراج طولها وعرضها ، وبدأ الفرسان والمغامرون يسألون عن هذه المطالب، فمنهم إذا علم بالمطالب أحجم ، ومنهم من غامر فلم يسمع له خبر، واستمر الحال هذا ثلاث سنوات ، وما عاد أحد يفكر بالزواج من الأميرة نهر الأحلام.



الفارس شديد



قال الراوي : أخبرنا جابر بن نادر فقال : بعد سنين دخل المدينة شاب يافع على حصان أدهم يلبس ملابس الفرسان جميل الصورة ، يضع على رأسه عصابة حمراء فيها جوهرة خضراء ، كل من يراه يتعجب من هيئته القوية رغم صغر سنه ، وتعجب الناس أكثر عندما علموا أنه مغامر آت للزواج من أميرتهم، فيشفقون على شبابه فهو ما زال دون العشرين ، فحاولوا ثنيه ومنعه من الإقدام على هذه المخاطرة ، وسردوا عليه بعض حكايات من تقدموا لها وذهبوا ولم يرجعوا، ولكن الفارس الشاب أصرّ على مقابلة ابن عاد مدعيا أنه أتى من بلاد بعيدة ليقترن بالأميرة نهر الأحلام إذا حقق لها مطالبها الثلاثة ، فأدخل على الملك جعفر فرحب به وقال له : أيها الشاب الصغير .. أتطمع بمصاهرة الملوك فترسل روحك للمهالك ؟!

فرد الشاب بجرأة مع أدب : أيها الملك الكبير .. لعل الدنيا تبتسم لي وأصبح صهرا للملك السعيد ابن عاد .. فقد علمت أنكم لا تمانعون أن يخطبها وينكحها

مغامر مثلي .. فأنا قادم من بلاد بعيدة طامعا بتحقيق مطالب الأميرة نهر الأحلام .

أعاد الملك نصح الفتى وصرفه عن هذه المغامرة الصعبة وقال : أيها الشاب! الأمر خطير،وقد تكلفك هذه المغامرة حياتك، فابحث لك عن فتاة تناسبك وتقر عينك بها.

فقال الشاب بإصرار: أيها الملك جئت من بلاد بعيدة طامعا بمصاهرتكم .. روحي فدى الأميرة دعني أجرب حظي .. فأنا فارس وأتقن ركوب الخيل وطعن الرماح والمبارزة بالسيف وإذا نفذت شروطكم فأستحق أن أكون صهرا لكم .

قال الملك بأسف : فعلت ما يجب عليّ نحوك .. سوف تنزل في قصر الضيافة وسأرسل وراء

الأميرة لتجتمع بها وتسمع مطالبها من فيهها .

أتت الأميرة واستمعت للشاب المتحمس المدعو شديد ، فذكرت له شروطها الثلاثة، فلما أنهت كلامها قال بصوت جهور وحماس ظاهر أمام الملك وأعوانه : هل تريدون هذه الأشياء كلها معا أم واحدة واحدة ؟ .

ابتسم القوم للشاب المقدم على هلاك نفسه وردت الأميرة : كما تشاء المهم أن يكون بين يدي رأس السبع والقلادة ،والحصان حيا والقلادة ، ورأس العبد ملك السودان والقلادة التي تطوق عنقه .

فعاد الشاب للقول بصوت جهور : أيتها الأميرة .. إذا أحضرت هذه الأشياء ترضين بي بعلا وتسافرين معي إلى بلادي في الشرق .. فأنا من مدينة الأفيال ، فلما سمعت بأخبارك أتيت مؤملا تحقيق أمنياتك الثلاث طامعا بك حليلة .. فهذا شرطي أيها السادة إذا انتصرت على ملك السدود .

فصمت الجميع حتى ردت الأميرة : لا اعتراض عندي أيها الإنسان ، إذا تحققت بأنك نفذت مطالبي فاذهب بي إلى أي بلاد شئت .. فأنا سأكون زوجتك الوفية .

فقال الشاب بجرأة : وأنت أيها الملك السعيد أترضى أن آخذ ابنتك الوحيدة لبلادي ؟

فضحك جعفر لثقة الشاب بفوزه على العبد الأسود وقال : أنت حر .. تسكن في أي مكان تريده

فالتفت الشاب للأمراء والوزراء وقال : وأنتم أيها الأمراء والوزراء .. هل تشهدون بأنني إذا حققت مطالب أميرتكم بأن آخذ الأميرة نهر الأحلام بعد الزواج إلى بلادي لأفخر بها على رؤوس الأنام ؟

فقالوا : ما دام مولانا السلطان وافق على شرطك ، فنحن نشهد على ذلك أيها الشاب .

ولما انصرفت الأميرة من المجلس قال جعفر للشاب : يا بني إني عليك مشفق .. ففكر في أمرك جيدا .. فأنت مقدم على أمر صعب وشديد الخطورة .

فرد الشاب باسما : أيها السادة .. أيها الملك إن لم أحقق هذا فلا أستحق أن أكون زوجا لابنتكم

اصبروا وسوف ترون سأعود إليكم بمشيئة الله برأس هذا العبد وحصانه وسبعه وداعا أيها القوم .

فأتبعه بعض القوم بضحكات هازئة ، واتهمه بعضهم بالجنون والغرور ، وترحموا عليه .

قال جابر بن نادر : الحياة حكاياتها عجيبة وغريبة ، ترك الفارس الشاب مدينة الأبراج متوجها إلى مدينة السدود حيث العبد الأسود ، وفي الطريق عرج إلى قرية صغيرة ، فوجد جماعة من الرجال في انتظاره وهم في حالة قلق ، فلما رأوه استقبلوه فرحين ، فروى لهم ما جرى له عند الملك جعفر ، وأن الأميرة قد وافقت على ترك مدينة الأبراج إذا حقق لها المطالب الثلاثة ثم قال لهم بحماس : سنبدأ العمل أيها السادة .. الحيلة التي سندخل بها مدينة السدود أيها الفرسان هي أن يقوم سعد وسعيد بربطنا أنا وهمام بالحبال ، وبيعنا أسرى لملك السدود .. أنتم أسرتمونا في بعض تنقلاتكم بين البلاد ، ولما مررتم بطريقكم إلى مدينة السدود أحببتم بيعنا فيها .. هذا المطلوب منك يا سعد ويا سعيد ، ثم تذهبون إلى مدينة الأوهام تطمئنون أخي شدادا وأختي ورود عليّ .

مشى القوم نحو مدينة السدود حتى اقتربوا منها ، فقام بعض الرجال بربط همام وشديد وأخذوا خيولهم بعد أن ودعوهم وداعا حارا ، ثم جرحوا وجوههم وعفروها بالتراب ومزقوا ثيابهم حتى أصبحوا في هيئة رثة يحزن عليهم كل من رآهم، وقاد سعد أحدهم ، وساق سعيد الآخر ، ودخلوا بهم مدينة السدود لبيعهم لملك السودان ، ثم يعودون لجماعتهم وينطلقوا لمدينة الأوهام .

استقبلهم الملك الأسود بالاستغراب؛ ولأنهم من الجنس الأبيض فرح بهم، وشراهما بثمن بخس وصدق قصتهما ، فانصرف العبدان سعد وسعيد لجماعتهما بثمن أسيادهما ، فأرسلهم ملك السودان مع الرعيان ليرعوا الإبل والدواب ، ولم يفرقوا بينهما ، وحذروهما وتوعدوهما من الهرب والغدر .. فقنعا بالعيش مع الدواب والرعاة ، كانت مدينة السدود تزخر بالرجال السود والنساء السود ، ولا يملك النساء البيض إلا الملك ورجاله ، ومن يتكرم عليه ملك

السودان من رعاياه بجارية بيضاء مقابل عمل أو خدمة قدمها لملك السودان الأسود ، وأما الرجال البيض فكانوا أسرى وخدم ورقيق عندهم ، فاندمج شديد وهمام مع الرعيان والعبيد ومن خلال ذلك عرفا البلد جيدا ، وعرفا أطباع الملك ملك العبيد والزنوج ، وعرفا بعض عاداتهم وسننهم ، وبعد شهور نقل شديد لرعاية خيول الملك والأمراء ، وهناك تعرف على الحصان الخطير والمطلوب ، فقد وجده تحت حراسة سبعين من العبيد خواص الملك، وبعد حين نقلوه للعمل في قصر ملك السودان ، وفي خدم الملك مكان أحد العبيد الذي أهلكه الموت فقال في نفسه : الحظ يبتسم لي ويقربني من تحقيق مرادي .

فوجد أن هذا الملك عربيد سكير هو ورجاله الخاصة .. وليس له إلا القتل والفحش ، ومن يغضب عليه من الناس يلقيه لسبع الغاب ، ويجعل من ذلك فرصة للتسلية واللهو ، يجلس هو وندماؤه للسكر والفرجة على الأسد وهو يفترس الضحية ، ولا يكاد يمر أسبوعا إلا وتقدم ضحية للأسد الذي يعيش في قصر ملك السودان .

قال جابر : صبر شديد على حياة القصر ، وتعرف على الغلمان والعبيد فوجدهم يحيون برعب وخوف مستمر من سيدهم ، وكان شديد يتظاهر بالرضا والسرور بهذه الحياة في كنف ملك السودان الذي أعجب به ، وبعد حين جعله المسؤول عن راحته وغرفته الخاصة ، وكلما يقترب شديد منه يهتف لنفسه قائلا : يبدو أن نهاية الشيطان اقتربت .. لا أدري كيف رضي به هؤلاء العبيد سيدا لهم وملكا عليهم ؟! وهو بهذه الأخلاق السيئة والاستغراق على الشراب المسكر والتلذذ بقتل الناس .. أرجو الله أن يساعدني في الخلاص منك وإراحة العباد من شرك وظلمك كان شديد على اتصال دائم وخفي بهمام الذي استلم مكانه في رعي الخيول ، بل جعلوه من حراس الحصان عادل البحر بعد موت أحد حراسه ، كان شديد يشارك سيده الوحش حفلات الفجور والخمور والشرور ويؤدي دوره فيها ببراعة وإتقان حتى أصبح الملك يتحدث بأسراره أمامه ومن غير حرج ولا يبالي .

كان شديد يفكر بيوم مناسب ليقتل ملك السودان ، وقبل أن ينفذ ما يدبره دخل مدينة السدود

العبدان سعد وسعيد ، وقدما له هدية حصانا مسبوكا من الذهب الخاص ، فشكرهما ملك السودان وطلب من غلامه شديد إكرامها، فأخذهما إلى غرفة الضيافة وقال لهما هامسا : ما الذي أتى بكما إلى هذا العرين ؟

فقال سعد : لقد قلقنا عليكما .. فلكما أكثر من سنة فأرسلتني أختكم ورود أبحث عنكم ..ما أخباركم ؟

فقال شديد : على كل حال جئتما بالوقت المناسب .. امكثا هنا سأذهب للملك قبل أن يفتقدني سأدبر معكما أمرا عظيما .

وعاد للملك مسرعا وهو يقول : أكرمتهما كما يحب مولانا .

قال جابر : كما تعلمون مما قلناه سابقا أن حياة هذا الملك العبث واللهو واللذة والظلم والبغي على من حوله من الناس والجيران ، بل يشتري الرقيق ليقدمه فريسة لسبعه ، وبوصول سعد وسعيد قرر شديد تنفيذ ما دبره وخططه لقتل العبد الأسود وإنهاء مهمته والعودة لمدينة الأبراج ليحظى بالأميرة الحسناء نهر الأحلام قرينة له ، وكانت خطة شديد بها أنه المسؤول عن غرفة نوم العبد ، ولا يدخل عليه أحد في خلوته ، فقرر قتله وجعل سعيد مكانه متنكرا بثيابه على أنه ملك السودان بضعة أيام قبل أن ينكشف أمره ، وفي هذه المدة يأمره سعيد بقتل سبع الغاب ويأمر همام بإحضار عادل البحر ، وفي ليلة لا يوجد فيها ضوء قمر يغادرون بلاد السودان ، ويتركون أهل البلد ينصبون ملكا جديدا وظالما آخر.

قال جابر : حيلة ذكية وخطة جريئة ، في ليلة من الليالي ذبح شديد خصمه ، وأخفى جثته في سراديب القصر ، وتنكر سعيد بثياب العبد وأظهر شديد في القصر مرض الملك وأنه منهك القوى ولا يرغب باللهو والسهر ، وأظهر لهم سعيد المصاب بالإعياء الشديد أنه قرر التخلص من سبع الغاب ندما وأسفا على ما سفك من الدماء آملا بأن يشفى مما ألم به من سقم إذا قرب السبع قربانا للآلهة ، فألقي له السم الزعاف فقتل ، وقام شديد بجز رأسه ليحتفظوا به في القصر وأخذ قلادته ، وكان همام على معرفة بما يجري في القصر ، وكان قد تعرف عليه الحصان خلال

هذه المدة ، فأصبح أطوع إليه من بنانه ، وعلى حين غرة ادعى الملك أنه يرغب بالخروج لضواحي المدينة بصحبة جواده عادل البحر وخرجوا ليلا ومعهم رأس العبد ورأس السبع والقلائد ، وكان سعد قد هيأ لهم في طرف المدينة خيولا ، ولما أصبح الصباح علم أهل المدينة بمقتل سيدهم فقام فيهم النواح والصياح عدة أيام ثم نصبوا عليهم ملكا جديدا ، وهكذا انتهت حياة ملك السدود ومات سبعه واختفى جواده .

وبعد أيام كان الفارس شديد يدخل مدينة الأبراج ، ويضع القلائد الثلاثة أمام الملك جعفر بن عاد الذي ذهل وما عاد يتكلم، فهم قد ظنوا أن الشاب قد مات، ولما سمعت الأميرة نهر الأحلام بذلك صعقت ، وجاءت إلى القصر مسرعة ، ولما شاهدت رأس السبع والعبد والقلائد ونظرت الحصان أثناء دخولها، فقالت وهي ما زالت مذهولة : إن هذا لشيء عجاب!! أمر لا يصدق !! .. أنت أهل لي أيها الفارس .. وتستحق أن تكون صهرا للملوك من آل عاد يا مرحبا وألف مرحبا .. ضعوا هذه الرؤوس على الرماح ؛ ولتكون على مدخل البرج الأوسط ؛ ليعلم الناس أن الأميرة نهر الأحلام تزوجت من أمهر وأشجع الفرسان .. وأن مهر الأميرة قد حضر وأما الحصان فهو هدية لأبي جعفر والقلائد مهري .. مبارك لك أيها الفارس ابنة الملك .. فشجاعتك نادرة وقص علينا حكايتك .

فحور الفارس الحكاية بما يناسب المقام ، وأخفى عنهم ذكر الأعوان ، وبارك له الجميع في الأميرة ، وأثبت أنه فارس شديد شجاع ، يستحق الأميرة حليلة على مدى الزمان ، وأقر الملك بكل ما تفوه به الأمراء والأميرة وقال : أجل أنت بطل صنديد !! وكنت أظن في يوم من الأيام أنه من المستحيل الحصول على هذه الأشياء .. فأنت بطل مجرب وتستحق ابنتي الأميرة عن طيب خاطر .. ولكني سأطلب منك طلبا هينا كما جرت عادة الملوك من الآباء والأجداد .

عندئذ أدرك شديد أن الملك قد صعب عليه تزويج ابنته من مجهول فيريد أن يضع عقبة في طريقه ولكنه قال بحماس : اطلب ما شئت أيها الملك فمن أتى برأس العبد وسبعه وحصانه لا يعجزه شيء .. فأنا مستعد لأي مهر فالأميرة تستحق كل ثمين وغال .

أصابت الدهشة كل الحاضرين من رغبة الملك ، فكانت عيونهم تنتظر ما يتفوه به الملك من أمر جديد ، وأحس الملك بدهشتهم واستغرابهم فلما سمع كلام شديد قال : أيها البطل قد أحسنت بتخليص العباد من ظلم وتجبر ملك السودان ! .. وإذا أحضرت لي مطلبي مهر ابنتي الوحيدة سأهبك الحصان عادل البحر .. واعلم أن طلبي الغاية منه أن لا يقال أن الملك ابن عاد زوج ابنته من غريب ومن غير صداق .. ففي عرفنا الآباء هم يختارون مهر بناتهم أو يحددون قيمته والأميرة وضعت مطالبها لتوافق على الزواج أولا ولتفخر على بنات جنسها بما اشترطت .

فقال شديد : لا حاجة يا مولاي لأي تبرير .. فأنا رهن إشارتك اطلب أي مهر .. المهم عندي أنني عندما أتزوج الأميرة ترحل معي لبلادي الأفيال .. هذا ما تعاهدنا عليه .

قال جعفر الملك : ابشر بذلك وكما اتفق وجرى الكلام .. يا سادة تعلمون أن الملك فوزان صاحب بلاد التاج .. التي تقع جنوب بلادنا عنده تاج من الذهب والجواهر لا مثيل له عند ملك من ملوك هذا الزمان .. وتلبس هذا التاج زوجته سعدى فيا ليت الفارس شديدا أن يأتينا به مهرا لأبنتنا الغالية والوحيدة .

فحملق الناس بعضهم ببعض ، ونظر شديد في عيني نهر الأحلام لحظات ثم قال : وكيف الحصول عليه يا ملك الزمان ؟! فقال جعفر وهو يصر على أسنانه : هذا شأنك أيها الفارس .

لم تتكلم الأميرة ، وابتسم شديد من جديد وقال بكل ثقة : أيها السادة اشهدوا بأنني سأحضر لكم هذا التاج ـ إن شاء الله ـ لأضعه على رأس الأميرة نهر الأحلام بدلا من رأس سعدى .

ابتسم الملك لذكاء شديد، وأدرك أن صهره ذكيا فوق شجاعته فهو يريد الاحتفاظ بالتاج ، فقال الملك باسما : بالطبع سيكون على رأس الأميرة نهر الأحلام إلا إذا أهدته لوالدها العزيز .

فقال شديد : وداعا سيدي وانتظريني أيتها الأميرة .. لقد جئت من آخر الدنيا متعلقا بك .. فسيأتيك المهر حتى تتحدث كل الناس عنه ليرضى والدك وأهلك ويعلمون كم أنت غالية في قلب الفارس شديد أبي شجاع .. والتفت للملك وقال : هل من شرط آخر يا مولاي ؟

قال جعفر : لا .. هذا الطلب فقط حتى لا يقال إنني لم أفعل ما يفعله الآباء .

التاج

انصرف شديد وهو في غيظ شديد ، والتقى برجاله في القرية المعروفة حيث ينتظرونه ، وأعلمهم بما حصل له من غدر جعفر به ثم قال : ولكني جعلت التاج للأميرة بدلا منه ففطن لذلك وترك الأمر لها ..كنت أطمع أن نأخذه من الملك فوزان حينا من الزمن ريثما أبلغ غايتي ثم أطلبه من الأميرة ونعيده للملك فوزان مرة أخرى .

ودعهم شديد وسافر لبلاد التاج ، ولما وصلها التقى بالملك فوزان ، ثم خلى به وقص عليه قصته وأصله وفصله وغايته، ولما اطمئن فوزان إلى حكايته قال : تمكث أياما نزيلا عندنا حتى أرسل رسولا لدياركم ، وأتاكد من نسبكم .. فأنت بطل لا يستهان به ..ولسوف أقنع زوجتي بالتخلي لك عن التاج حينا من الدهر حتى تتمكن من حرمان جعفر اللعين منه .

أرسل الملك فوزان رسولين رسولا يأتيه بالخبر اليقين عن شديد من مدينة الأفيال التابعة لمدينة الأوهام ، ورسولا لبلاد الملك جعفر يأتيه بقصته معه وطلب التاج منه ، وكان شديد قد أرسل خادمه سعد لرفيقيه همام وسعيد في تلك القرية يخبرهم بأمره ، ويحثهم بالعودة للوطن ليطمئنوا الأهل ثم يعودون ، ولما جاءت رسل فوزان بصدق قصة الشاب كان الملك فوزان قد روى لزوجته سعدى الحكاية حكاية الشاب شديد مع ابنة الملك جعفر ، وما حصل له مع جعفر ملك مدينة الأبراج ، وأنه أراد منه تاجها ليتم زواجه ، ويريده الشاب حينا من الزمن ثم يعيده لها ، فوافقت الملكة على ذلك بعدما رأت الشاب شديدا وسمعت الحكاية من فيهه ، وأعطاه الملك التاج خفية عن الناس ، ولما دخل الفارس شديد على الملك جعفر بالتاج أصابه عجب ودهشة أكثر من الأول من السرعة التي أحضره بها ، ولما جاءت الأميرة وضع التاج على رأسها قال له جعفر : حدثنا كيف حصلت عليه ، ورضي فوزان بإعطائك إياه أو قل زوجته ؟

تبسم فارسنا وقال : دخلت على الملك فوزان وذكرت له قصتي .. وأرسل رسلا لبلادكم يتأكدون من صدق قصتي ، ثم وهبني إياه عن طيب خاطر عندما تأكد من قتلي لملك السودان وجلب رأسه ورأس سبعه وحصانه لكم .. هذا ما حصل أيها الملك السعيد .

فنهض الملك مستسلما وعانق الفارس وقال : الدنيا تبتسم لك .. ولا يمكن إنكار أنك فارس بطل رغم صغر سنك .. فهنيئا لك الأميرة نهر الأحلام ، وهي قد عاتبتني كثيرا عندما كلفتك بجلب تاج سعدى ، فقد أعجبت بك أميرتنا .. فأتمنى لكما السعادة .. والحصان عادل البحر هو هبة مني إليك .. ولتستعد البلاد للاحتفال بزواجكما على نفقة الملك جعفر بن عاد ، فهذه أول مرة في تاريخنا الماجد تتزوج فتاة أو قل ابنة ملك رجلا من عامة الناس.. فأنت الآن أصبحت الأمير شديد بن براقة فارس بطل .

علم أهل المدينة أن الفارس شديدا حقق رغبات الملك وابنته ، وأعلنت الأفراح مدة من الزمان وقد زين قصر الأميرة بالمشاعل والأنوار، وأطعم الفقير وكسي العريان بهذه المناسبة ، وتزوج الأمير شديد الأميرة ، وبعد أربعين يوما من الزواج استأذن شديد من حماه بالسفر لأهله وبلاده فمنحه الملك الحصان عادل البحر ، وأعاد التاج لابنته وشكرها على إهدائها له ولكنه أعاده إليها قائلا : أنت أحق الناس به .

وعرض الملك على صهره أن يرسل معه حرسا يوصلونه لبلاده ، فاعتذر الأمير وقال : سنسافر يا سيدي بلباس العامة وليس بثياب الأمراء والفرسان وجهزهم الملك ببضع بغال ، واختارت الأميرة خادمين وخادمة استأذنت زوجها بها فوافق على ذلك ، وودعهم الملك والأمراء إلى ظاهر المدينة ثم رجعوا لبلادهم ، وبعد مسيرة ثلاث أيام عادت كوكبة الفرسان التي رافقتهم ، ولما اقترب شديد من القرية التي يسكن بها أعوانه استأذن الأميرة لزيارة إليها ؛ لأن فيها بعض الأصحاب، وذكر لها أنه سيعود سريعا ، وكان قد أخذ التاج خفية عن الأميرة ولما وصل لرجاله الذين كانوا في انتظاره ، وقد علموا بزواج أميرهم من الأميرة نهر الأحلام ابنة جعفر ، فقد كان الخادمان سعد وسعيد يتبادلان الانتقال بين القرية ومدينة الأبراج ، فلما رأوا الأمير هنئوه بالنصر والفوز ، وكان همام وسعيد قد عادوا من مدينة الأوهام ، ومعهم بعض الفرسان فأعطى شديد التاج لهمام وقال له : سر به للملك فوزان .

وكتب له رسالة يشكره فيها، وروى له فيها زواجه من الأميرة ، وأنه سائر بها نحو بلاده .

وانطلق همام إلى بلاد التاج ، ومشى الأمير ورجاله نحو المكان الذي نزلت تستريح فيه الأميرة وخادماها وجاريتها ؛ ولكنه عندما وصل المكان لم يجد أحدا سوى بعض البغال وعليها الأحمال فقال : ما الأمر؟!..الأميرة اختفت!.. أم هربت؟ .. هل عرفت أنني سرقت التاج فغضبت وهربت ؟

فقال سعد : هل عرفتك أيها الأمير؟

فقال وهو في شرود : قبل سفري بأيام ذكرت لها أنني ابن ملك مثلها ..فتعجبت من تنكري وعدم انتسابي أمام أبيها بذلك .. فلما ذكرت لها أن والدي هو الملك هدير بن جرير ملك مدينة الأوهام الذي قتله والدها جعفر صدمت ، وأنا قلت ذلك حتى لا تصدم بذلك عندما تبتعد عن بلادها .. وتعرف ذلك عندما نصل بلادنا ، فانزعجت بداية ولكني قلت لها : لننسى الماضي أيتها الأميرة ! فأنت قد أصبحت زوجتي وأنا زوجك.. ولا أفكر بالانتقام منك أو من أبيك فوالدك عمي .. ولكنني حققت رغبة أبي بالزواج منك .. فأبي لم يحقق ذلك فحققت أنا رغبته بعد موته .. وصدقي أني نسيت الأمر ولا أكن لك في قلبي حقدا أو كرها .. وظننت أن الأمر انتهى إلى هنا فقد لزمت الأميرة الصمت.. ولم تخبر والدها بشيء فاطمأنت نفسي إليها .

فقال أحد الفرسان : لو أرادت الهرب أين تتجه ؟ .. فلو كانت تريد أهلها لما خرجت أصلا ؟

فقال سعد : قد تكون علمت باختفاء التاج فصممت العودة لأبيها لتكشف له الأمر .

فقال شديد : لا أظن أن الأميرة عادت لقصرها ، ومع ذلك فاذهب يا سعد لمدينة الأبراج وأتنا بالخبر اليقين فأغلب الظن أنها هربت واختفت لتختبرني فهل أبحث عنها أم لا ؟ فلينطلق كل منكم أيها الفرسان لجهة من الجهات وأنا وسعيد سنعود للمبيت في القرية وليكن لقاؤنا فيها فسار كل فارسين إلى جهة ، وسار سعد نحو مدينة الأبراج ، وقفل شديد وسعيد إلى حيث يسكنون في القرية المهجورة .

قال جابر بن نادر : اختفت الأميرة ولم يظهر لها أثر ، وعاد الرجال مساء اليوم التالي من غير خبر فقال شديد بحزن وأسف شديد : علينا أن نصبر وننتظر عودة صاحبنا سعد لعل عنده خبرا

يفرح الفؤاد المجروح .. وعلينا باعتراض همام أيها الأبطال أثناء عودته من مدينة التاج ؛ لئلا يذهب لبلادنا كما طلبنا منه ظانا أننا سبقناه .. فقد جدت أمور غيرت ترتيبنا كله .



وعاد سعد بالخبر اليقين من مدينة الأبراج بأن الأميرة منذ خرجت بصحبته لم تعد ، فأدرك الفارس أنها هربت منه، وعليه البحث عنها في بلاد الدنيا، وبعد تفكير قال شديد : سأنطلق أيها الرجال للبحث عن همام فقد تأخر موعد قفوله هو الآخر ، سوف أصل مدينة التاج ، وليرافقني سعد وليبق سعيد وبعض الرجال هنا ، وليذهب طائفة لبلادنا ويخبروا أهلنا بما جد علينا .

فلما نزل الأمير شديد ضيفا على الملك فوزان روى له الحكاية حكاية زواجه من الأميرة ، ولما سأله عن التاج ، علم أن هماما لم يصله فانزعج وتوتر وعتب على هذه الدنيا وأحوالها فقال فوزان : لعله طمع بالتاج ؟!

رد شديد : لا يمكن أن يفعل همام ذلك لابد أنه تعرض لمكروه .. وسأبحث عن التاج في عنان السماء وأعماق البحار .. ولن يهدأ لي بال حتى أعود به وأرد الأمانة لأهلها ، فالدنيا لا تبقى على حال .

وعاد شديد للقرية حيث بقية رجاله وأعلمهم بخبر ضياع همام والتاج ، والكل ينفي طمع همام فيه أو خيانته لأسياده ، فوضعوا خطة للحركة وهي التنقل بين القرى والمدن التي تفصلهم عن مدينة التاج وعليهم البحث والاستماع عن الفرس وهمام وبعد أسبوعين كل فرقة ترسل مندوبا لهذه القرية ، ولم يطل بحثهم فقد وقعوا على الفارس همام في إحدى المنازل وهو طريح الفراش مصاب بجرح عميق في خاصرته في قرية قريبة من مدينة التاج بأيام يوم أو يومين ، فقال لهم وهو يصطنع الابتسام : لقد تعرضت لقطاع طرق وغدروا بي قبل دخولي مدينة التاج في هذه البلدة الصغيرة .. في تلك الليلة المشؤومة اعترضني عدد من الرجال وأحاطوا بي من كل مكان وأخذوا مني التاج والحصان وما أحمل من المال والسلاح وطعنني أحدهم بخنجر في خاصرتي

فظنونني قد قتلت وغابوا في الظلام ، وفي الصباح وجدني فلاح وأخذني إلى بيته هذا .. وهو ما زال يشرف على علاجي مع زوجته الطيبة وأبنائه .. ويقومون على خدمتي ورعايتي .. وأنا على هذا الحال الذي ترونه إلى أن أخبروني بأنكم تسألون عني وتبحثون عني فظنوكم من أعدائي قطاع الطرق فخافوا عليّ وعلى أنفسهم .. ولما اطمئنوا منكم أحضروكم لي فهذه قصتي يا أمير شديد يا فارس مدينة الأوهام .

فحمدوا الله على سلامته ونجاته من الموت غدرا ، وابدوا امتنانهم للفلاح وأسرته وقالوا : الحمد لله على السلامة أيها الأمير وسنبحث عن هؤلاء اللصوص ونعدمهم الحياة .

وكشفوا عن جرحه فوجوده صعبا ويحتاج لطبيب وعلاج ، وقص شديد قصة هرب الأميرة على صاحبه همام ، ثم سأل صاحبه قائلا : يا همام يا فارس مدينة الأفيال هل من أمارة ترشدنا إلى الرجال الذين اعترضوك وغدروا بك ؟

قال همام : كان الليل شديد العتمة ، ولقد كان كلامهم قليل ، وسمعتهم يذكرون اسم زيدان فقط .. وقد سألت الفلاح هل من قاطع طرق في هذه المنطقة اسمه زيدان ؟ فنفى معرفته لهذا الاسم ولكنه قال لي إن اللصوص ينتشرون في هذه البقاع ، وأحيانا يهاجمون القرى لخطف النساء والأطفال أو نهب الدواجن والدواب، وهذه القرية يسكنها هذا الفلاح وبعض أقربائه وبعض الأبناء .. وكثير من أبنائهم الشباب يسيرون للمدن ويلتحقون بالجند ويخدمون عند الملوك والأمراء ويزورون أهليهم من حين لآخر ، وهذا الفلاح كما حدثني لديه ولد كبير يخدم عند الملك فوزان ، وله ولد آخر أمضى عشرة سنوات في خدمة الملك فوزان وأصيب في بعض المعارك فعاد للقرية فهو يعمل في الفلاحة ، وله ولد ثالث يساعده لم يخرج من القرية إلا لشراء الأشياء من المدن والقرى الأخرى ، وله بنتان متزوجتان في القرية وأغلب الناس هنا على شاكلتهم ، وحدثهم همام عن حياة القرية وهؤلاء الناس البسطاء ، وعن جودهم وكرمهم معه وحياتهم الهادئة في هذه البلدة الصغيرة التي تقوم على الزراعة وتربية الطيور والأغنام .

فبعدما سمعوا حديث همام عن القرية وأهلها أخبر الأمير جماعته برغبته بالسير إلى الملك فوزان

وسؤله عن شخص اسمه زيدان ، فأخذ سعدا وانطلق لبلاد التاج ، وأوصاهم على همام وبعد عودته سوف يسيرون به إلى بلدهم لمتابعة علاجه في قصر الملك شداد بن هدير .

دخل الأمير شديد على الملك فوزان الذي رحب به واستمع منه لقصة الفارس همام ، ولما سمع اسم زيدان تغير لون وجهه واضطرب بدنه ، مما لفت نظر الفارس فاستفسر عن ذلك فقال فوزان : سأقول لك ولكن ليس الآن .. انزل أنت وخادمك في قصر الضيافة .. وغدا أرسل وراءك وأقول لك عن سبب تغير وجهي يا ابن الملك هدير بن جرير .

كان للملك فوزان ولد شرير وشيطان مريد يدعى زيدان ، وله عصابة يقطع بها الطريق ، ويعيث فسادا في القرى والبلاد المجاورة ، فلما أرسل وراءه عاد الغلام يقول : إنه غير موجود في البلد منذ أسابيع فهمس فوزان محدثا روحه : إنه يعرف تاج أمه سعدى .. فهل يعقل أنه باعه ولم يعرفه ؟!

في اليوم التالي حدث الملك فوزان ابن صاحبه الملك هدير عن فجور ابنه وفساده ، وأنه قد يكون هو الذي تعرض لهمام وأخذ التاج منه ثم قال : امكث ضيفا لدينا أياما، فقد أبلغت رجال الشرطة والجنود بإرساله إليّ عندما يدخل البلاد.

ولم تطل مدة الانتظار ، فما كاد سعد يذهب لرجالهم يخبرهم بتأخرهم بضعة أيام ويعود ، كان زيدان يدخل المدينة ويجلس بين يدي والده الذي سأله عن التاج فاعترف سريعا بأنهم تعرضوا لرجل في إحدى الليالي وهم يتنقلون بين القرى فوجدوا معه تاجا ، ثم قتلوه وتركوه للكلاب والذئاب ، ولما رأى زيدان هذا التاج ظنه للوهلة الأولى تاج أمه سعدى ، ولولا أنه يعلم علما يقينا أن التاج عندها لظنه هو فقال فوزان غاضبا: هو تاجها يا ملعون ! هو تاج أمك يا لص !

فصاح زيدان : هل باعته ؟ وما الذي أوصله ليد ذلك الرجل ؟!

قال الملك : باعته !! ويلك !

فقص عليه طرفا من الحكاية ، وأمر بحبسه لما علم منه أنه أهداه لفتاة تعيش في مدينة الجبل الأعظم ، فأرسل الملك وراء شديد وأطلعه على الأمر وطلب من أحد أبنائه مرافقة الأمير شديد

وخادمه سعد إلى مدينة الجبل الأعظم لمقابلة تلك الفتاة ، ولما دخلوا تلك المدينة بعد أيام من المشي نحوها وجدوا المدينة مزدحمة بالناس ، فقيل لهم إن الملك يحتفل بزواج ابنه من فتاة فقيرة ولكنها جميلة ، وفوجئ القوم عندما علموا أن هذه الفتاة التي يحتفلون بقرانها على الأمير هي التي جاءوا يبحثون عنها ، وفيما هم في دهشتهم سمعوا صوتا عاليا يقول : موكب الأمير وعروسه جبنة يقترب من المكان !

فوقفوا ينظرون الموكب مع الناظرين ، وشاهدوا التاج الجميل فوق رأس العروس فاحتاروا فيما يفعلون وكيف يتصرفون ؟ ولما ابتعد الموكب نزلوا فندقا يتدبرون أمرهم ، وفي الصباح كان الشباب الثلاثة يقبعون في سجن ملك هذه المدينة، وازدادت حيرتهم أكثر فأكثر عندما علموا أنهم متهمون بسرقة التاج الجميل، والأفظع من ذلك متهمون بقتل ابن الملك .

قال الراوي أخبرنا جابر بن نادر فقال : الحكاية أيها السامعون إنه قبل أن يختم حفل الزفاف ، وقبل أن يقترب الموكب من قصر الملك ، هجم عدد كبير من الرجال يركبون الخيول مع أول دفعة من الظلام على الناس والموكب ، فداسوا الناس بسنابك الخيل حتى وصلوا عربة الأميرة وأميرها وأردوه قتيلا وزوجته ، وخطفوا التاج والجواهر التي تقلد بها عنقها ، وكذلك الجواهر الموجودة على صدر الأمير المقتول ، وهربوا قبل أن يفيق الناس من دهشتهم ، ولما علم الملك بذلك أمر بإغلاق أبواب المدينة والقبض على كل غريب ، وأمر بمطاردة اللصوص ولكن الليل البهيم مكنهم من الهرب والاختفاء ، فحزن الملك حزنا شديدا ، وأعلن الحزن والحداد في المدينة على ولده القتيل ، وبعد أيام ثلاثة كان شديد وسليمان وسعد يمثلون أمام الملك ، ولما علم أنهم أمراء وأحدهم ابن الملك فوزان ، وتأكد من ذلك من الخاتم الذي يلبسه الأمير سليمان ، عفا عنهم فخرجوا إلى مدينة التاج بعد ضياع التاج ، وذكروا للملك فوزان القصة، فأرسل وراء ابنه السجين واعلمه بما حصل للتاج ، وعن مقتل الفتاة التي أهداها التاج ، فتعهد أمام والده والأمراء بأن يبحث عن التاج ويرجعه لأمه بأسرع زمن ممكن ، فانطلق زيدان والتقى برجال عصابته ، فساروا نحو مدينة الجبل والتقوا ببعض رفاقهم في الكار ، فعلموا منهم أن جبنة بعد

أن تركها زيدان اتصلت بابن الملك وأخبرته بالتاج ، فطمع به فعرضت عليه الزواج ، وبعد الزواج تمنحه التاج الثمين ، فوافق بكل سرور وأثناء الاحتفال بالزواج هجمت عصابة كبيرة من اللصوص والمجرمين على موكبها فقتلوها وزوجها الأمير ، وسرقوا التاج الذي كان على رأسها وتدور به في شوارع المدينة واختفوا ، فأدرك زيدان أن الذين سرقوا التاج واغتالوا ابن الملك هم من رجاله الذين يعملون معه ؛ لأنهم كانوا قد غضبوا منه عندما وهبه لهذه المرأة اللعوب ، فبدأ يتعقب رجاله في القرى والأرياف إلى أن التقى بأحدهم في قرية ، فسألوه عن التاج فاعترف لهم أنه شارك في تلك الضربة ، وذكر لهم أن التاج وصل مدينة الأبراج وقال الرجل : إن دربان كما تذكر يا أمير غضب عندما حرم من حظه في التاج، واتفق مع مجموعة من اللصوص على أخذه من جبنة بعد تركك المدينة ، ولما انصرفت عائدا لبلادك هددها فأبت ولم ترضخ لتهديده بل هي هددته بك ، فاتصلت بعشيقها ابن الملك، وأطلعته على التاج ، وأقنعته بالزواج منها ، فازداد غضب صاحبنا دربان فقتلها في يوم فرحها وسرقوا تاجها وجواهرها وجواهر الأمير المصروع وباعوه في مدينة الأبراج لتاجر الذهب المعروف وئام ، ووزعوا الأموال بينهم هذا ما أخبروني به عندما أتوا هنا ، ودفعوا لي نصيبي من المغانم .



فجدوا السير نحو بلاد الأبراج وبعد ليال وصلوا إليها واجتمعوا بتاجر المجوهرات وئام المشهور بشراء الذهب والمجوهرات من اللصوص من أي البلاد أتوا، ولما اعلمه زيدان بسبب الزيارة قال : أصبح التاج عند حضرة الملك جعفر وإن جعفرا قد حبس كثيرا من اللصوص الذين كانوا مع دربان حتى يعود ولده سيف النهار من بلاد الأفيال .

وذكر التاجر قصة زواج نهر الأحلام من شاب يدعى شديدا من مدينة الأفيال بعد أن حقق لها مطالبها الثلاثة ، وأن والدها طلب منه تاج الأميرة سعدى ـ والدته لزيدان ـ ليبارك لهما الزواج فجاء به من عند الملك فوزان وتم الزواج ، ثم مكث شهر ونصف وغادرت الأميرة مع زوجها

نحو بلاده ومعها التاج ، فقال التاجر : فلما أتانا اللصوص بالتاج استغربت وخفت أيضا أن يكونوا قد قتلوا الأميرة وزوجها .. فأنا قد رأيت التاج عندما أتى به الفارس شديد ، فأقسموا لي إنهم لم يقتلوا امرأة اسمها نهر الأحلام ، فقلت لا بد من إخبار الملك فقال دربان نحن لم نقتل الأميرة .. ولن نسمح لك بإخبار الملك قبل أن تعطينا ثمنه ، فاتفقنا على أن ادفع لهم حصة من ثمنه، ويبقى بعضهم حتى يتأكد الملك من حياة ابنته وادفع لهم باقي الثمن ، فأخذوا المال وبقي خمسة منهم للشهود أمام الملك ، وأخذ دربان المال وغادر المدينة سريعا ، ثم اطلعت الملك على ذلك بعد أن ضمنت حياة الرجال الخمسة ، فأحضرهم وقصوا عليه قصة التاج ، فأمر بحبسهم حتى يطمئن على حياة ابنته فأرسل ولده سيف النهار لمدينة الأفيال ليأتي بالخبر اليقين ، وقد سافر منذ أيام ويحتاج لشهرين من الأيام حتى يعود يا ابن فوزان الملك .

فقال زيدان : التاج الآن عند الملك جعفر بن عاد .. سأعود لمدينة التاج واجتمع بشديد هذا .. وقد نأتي معا .. فهو نزيل عندنا .. يبدو أنه فقد الأميرة والتاج .

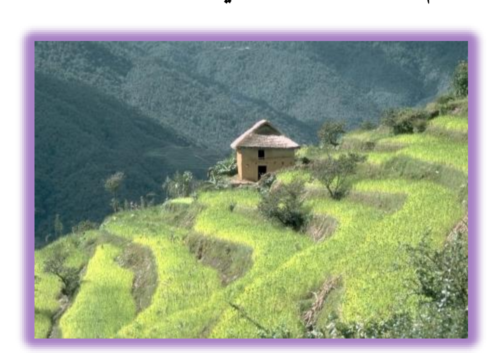
قال جابر بن نادر : عاد زيدان وصحبه لمدينة التاج ، وروى لوالده الملك قصة ذهاب التاج لمدينة الأبراج واستقراره في حضن الملك جعفر، فتعجب الملك

فوزان من ذلك ثم قال : ولدنا شديد ذهب لزيارة صاحبه همام وسوف يعود قريبا

ولما اطمئن الفارس شديد على صحة صديقه همام سار إلى مدينة التاج فاعلمه الملك بمصير التاج ، وأن الملك جعفرا أرسل ولده لمدينة الأفيال عاصمة الملك الجديدة لبلاد الأوهام ليبحث عن أخته الأميرة نهر الأحلام ، فقال معلقا بعد سماعه القصة : عجبا لهذا التاج أيها السلطان !.. لو لم يطلبه الملك ابن عاد مهرا لابنته ما جرت كل هذه الأحداث .. أفكر بمقابلة الملك جعفر واذكر له الحقيقة فما تقول أيها الملك ؟.

فابتسم الملك فوزان وبعد تفكير قال : أليس في ذلك خطر على شخصك أيها الفارس؟!.. فابنته الأميرة قد فقدت ، ولا خبر عنها منذ اختفت .. وكما قال زيدان اللعين فقد أرسل جعفر هذا ولده يسأل عنك فلابد أن يعود بمعرفة نسبك .. وهذا الآن ليس بمصلحتك .. فأرسل عبدك

سعدا إلى مدينة الأبراج ينتظر عودة سيف النهار، ويعرف ما عاد به من الأخبار، ثم تذهب للملك وتحدثه بهرب ابنته عندما عرفت نسبك .. وأنك ما زلت تبحث عنها في المدن والبلاد وأنك سمعت بأن التاج الذي كان معها وصل إليك وتقص عليه قصة همام من غير أن تعلمه بأنه كان آت به علينا .. فلو قلت إنه كان سائر به حيث مملكتكم فاعترضه اللصوص وهذا ما سيقوله له اللصوص السجناء إن سألهم عن ذلك ، سيعترفون بأنهم سرقوه ابتداء من الفارس همام .. وأنت فطن ذكي أيها الأمير الفارس ؟!



فقال شديد : حسن هذا .. سأسير سعدا لبلاد الأبراج ، وأسير إلى أخي همام وفرساني ، وبعد عودة سعد سأذهب للملك جعفر وأصارحه بالحقيقة لعله يعيد لي التاج وسيكون بين يديك بمشيئة رب العباد .

وودع شديد الملك والأمراء ، وانتقل للمكان الذي يعيش به همام وبعد أيام أرسل سعدا وسعيدا لمدينة الأبراج لسماع الأخبار وانتظار عودة الأمير سيف النهار من مدينة الأوهام ، وخلال هذا الزمن الذي مضى تحسنت صحة همام قليلا ، وأصبح بإمكانه المشي والحركة والجلوس على ظهر الحصان ، فأجمع أمرهم بعد عودة سعد وسعيد أن يرحل عدد منهم بالفارس همام إلى مدينة الأوهام .

قال الراوي : قال جابر بن نادر : فلنترك هؤلاء القوم بانتظار عودة العبدين من بلاد الأبراج ونرجع قليلا للوراء ، وأيضا في بلاد الأبراج حيث يتربع على حكم هذه البلاد الملك المعروف لكم جعفر بن عاد ، فعندما رأى الملك جعفر التاج اصفر وجهه واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه، فلما سمع قول التاجر وئام أمر بإحضار اللصوص واستمع ما قالوه ، ثم أمر بحبسهم حتى يعود الأمير سيف النهار من بلاد الأفيال ، ويتأكد من حياة أخته نهر الأحلام ، وكان الملك في غاية القلق والخوف على مصرع الأميرة ، وينتظر مرور الأيام على أحر من الجمر واللظى ،

وبعد شهرين وأيام جاء سيف النهار وأصحابه الفرسان، ودخلوا على الملك المنتظر قبل أن يزيلوا وعثاء وغبار السفر وعلى الفور قال الأمير بعد التحية: الأميرة نهر الأحلام لم تصل مدينة الأفيال يا ملك الزمان !

فلما سمع الملك هذا الخبر هب واقفا عن عرش الملك، وقال بصوت أجش: ويلك ما قلت يا سيف النهار ؟!

فقال سيف : على رسلك يا مولاي! واهدأ حتى أستطيع الكلام.

فعاد جعفر إلى كرسي العرش وقال : تكلم أيها الفارس ؟

قال سيف : أيها الملك العظيم .. دخلت أنا والرجال مدينة الأفيال بدون قيل وقال ولا اعتراض من لصوص الليل .. وسألنا عن شديد زوج اختنا نهر الأحلام .. فوجدنا أن مدينة الأفيال تخضع لملك مدينة الأوهام .. الملك شداد بن هدير بن جرير .. الذي تذكره يا ملك الزمان ؟

فصفن الملك قليلا ثم قال : أليست هذه البلاد التي غزوناها منذ سنوات ودمرناها عن بكرة أبيها.. وأتينا بأمرائها بالذل والعار وصلبناهم بعد أن أذقناهم العذاب .

قال سيف النهار : أجل يا أبتاه !.. ولكننا كما تذكر لم نأسر الأبناء لذلك الملك، فلم يكونوا في المدينة أثناء تدميرها وحرقها .

فقال جعفر : اكمل أيها الفتى فقد زاد انقباض صدري على الأميرة نهر الأحلام .

فعاد سيف للكلام قائلا : أيها الملك لقد عاد الأبناء وأعادوا بناء مملكة الآباء، ونـقلوا عاصمة ملكهم لمدينة الأفيال .. كانت مدينة صغيرة عندما دمرنا تلك البلاد ونصب الأمير شداد ملكا عليهم .. فوجدنا أن الأمير شديدا هو أخ أصغر للملك شداد .

فصاح جعفر وهو يضع رأسه بين يديه : ويلك ماذا قلت يا سيف النهار ؟! رأسي تدور .. فهل قتلت نهر الأحلام ؟!

فقال سيف : لا تتعجل يا مولاي .. فالأمر غريب وعجيب! .. فلما عرفنا أن زوج اختنا ابن الملك هدير دخلنا على الملك شداد وعرفناه على أنفسنا.. فأحسن استقبالنا ورحب بنا وبين لنا

أن أخاه منذ ذهب لبلاد الأبراج ليتزوج الأميرة نهر الأحلام لم يعد لبلاد الأفيال .. وهو ما زال حي يرزق ..فهو بعدما حقق مطالب الأميرة الثلاثة قد ذهب للملك فوزان فاستعار منه التاج تاج الملكة سعدى على أمل أن يعيده له بعد انتهاء مراسم الزواج .. ولذلك ألزم الملك بأن يهب التاج للأميرة ليأخذه منها بعد الزواج ويعيده لصاحبته .

وقال سيف : وأخبرنا يا مولاي الملك شداد أنها بعدما تركا البلاد بأيام هربت الأميرة منه عندما علمت بأنه ابن الملك هدير .. وهو قد بحث وما زال يبحث عنها .. وأثناء خروجها من بلادنا كان التاج معه محتفظا به ، فأرسله مع أحد رجاله إلى الملك فوزان .. وفي أثناء الطريق تعرض له لصوص وسلبوا منه التاج وطعنوه بخنجر وظنوه ميتا .. ووصل التاج لمدينة الجبل الأعظم ، ثم عاد إلينا عن طريق اللصوص كما تعلم يا مولاي .. والفارس شديد ما زال يبحث عن الأميرة وعن التاج .. وبعد أن تأكدنا من صدق هذه الأخبار عدنا إليك بالخبر اليقين.. وقد علمنا من الملك شداد أن الأمير شديد ربما سيأتي إلينا رغبة بالحصول على التاج.

فقال جعفر : حكاية عجيبة أيها الأمراء !.. إذن فزوج الأميرة نهر الأحلام .. هو الأمير شديد بن هدير .. هذا قدر غريب وعجيب !.. ولكن أين اختفت الأميرة ؟! ولماذا هربت ؟! ولماذا لم ترجع إلينا ؟ هناك أسئلة كثيرة تدور في ذهني لا يوضحها إلا الأمير شديد .

استدعى الملك اللصوص الخمسة فاعترفوا له بقتل الرجل الذي كان يحمل التاج ، وأن زعيمهم هو ابن الملك فوزان الأمير زيدان .. ولما استولوا على التاج أهداه الأمير لعشيقة له في بلاد الجبل فغضب دربان وقتلها وأخذ التاج منها وجاءوا إلى هذه البلاد ليبيعوه للتاجر وئام، فاكتشف أنه تاج ابنة الملك ، فأخبر الملك بأمرهم، فأمر الملك جعفر بطردهم من البلد وحذرهم من المجيء إليها ثانية .

قال الراوي : أخبرنا جابر بن نادر: علم شديد بكثير من هذه الأخبار التي وصلت للملك جعفر ، فركب حصانه عادل البحر ، ودخل بلاد الأبراج ، ولما وصلها دخل على الملك جعفر الذي هو في شوق لحل جميع أسرار هذه الحكاية فقال : يا شديد .. تكلم من البداية للنهاية ولا

تخفي عنا شيئا فكثير من التفصيلات بين أيدينا ولكن بعض الفقرات مفقودة نحتاج لمعرفتها .

فقال شديد : أيها الملك العظيم بما أنك عرفت فصلي وأصلي فما عاد هناك أمر مخفي سأتكلم بكل الصراحة والصدق .. تعلم أيها الملك ما فعلت بنا وأهلنا وديارنا من القتل والدماء والجراح

فقطع جعفر الكلام قائلا : أنتم السبب كما تعلم أيها الفارس .. خطفتم فلذة كبدي وحبستم أولادي.. وأنت تعلم أن هذا عار كبير على ملك عظيم مثلي؛ فكان يجب الثأر والانتقام وهذا ما فعلته غير نادم .

فقال شديد : ولكن العفو والصفح عند الاقتدار من شيم الملوك .

فقال جعفر : ليس دائما .. ولكن هذا ما حصل اكمل قصتك ؟

قال شديد : بعد تلك الكارثة التي علمت هرب السكان خوفا من بطش الجنود ، وكنا من ضمن الهاربين في الشعاب والجبال أنا وأخي شدادا واختنا ورودا وكل ذي عمر من أولاد الأمراء والأقارب ، ولما خرجتم عدنا ونصبنا شدادا ملكا على البلاد والعباد ، وبدأنا نعمر ونبني من جديد ، وجاءت الأخبار بموت الملك هدير والأسرى فحزنّا أياما .. ولكن ليس أمامنا إلا الدعاء واللعن والصبر على مر الأيام إلى أن جاءت الأخبار بأخبار الأميرة نهر الأحلام ، فوقع في قلبي أن أفعل ما لم يحققه أبي من الزواج بابنة الملك جعفر .. وبعد جدال صعب ومر مع اخوتي رضخوا لي مع خوفهم الشديد عليّ من العبد الأسود ، وبعدم ضرورة هذا الزواج من عدونا .. المهم بعد أخذ ورد أقنعتهم بحسن الزواج من الأميرة نهر الأحلام ..ومن أهمها انهاء العداوة بيننا فيما بعد ونسيان جروح الماضي .. وقلت لهما متحديا إذا لم أحقق النصر على العبد فلن أكون من صناديد الفرسان والأبطال .. فجئت إلى بلادكم وكان معي همام فارس مثلي وصديقي وخادميّ سعد وسعيد وبعض الفرسان فنزلنا في قرية تبعد عنكم بضع ليال ، وجئت إليكم عارضا عليكم نفسي .. وقابلتك أيها الملك ، وحضرت الأميرة وأعادت عليّ مطالبها ، وقد وافقت على شرطكم وأنتم وافقتم على شرطي بأخذ الأميرة إلى أي مكان في الدنيا لظنكم أنني سأموت لصعوبة الحصول على تلك الأشياء .



فقال جعفر : ولكنك لما جئتنا نسبت نفسك لمدينة الأفيال وليس الأوهام ؟

قال شديد : نعم وهي عاصمة ملكنا الجديدة .. ولم أنتسب لمدينة الأوهام حتى لا تتذكروا تلك الذكريات وتحرموني من تحقيق حلمي عندما تعرفون أصلي وبلدي الأصلي .. وأنتم أيها الملك كنتم واثقين من سوء المصير الذي سألقاه في مدينة السدود ، وقد أكثرت من نصحي بالتخلي عن هذه المهمة ولو نسبت نفسي لوالدي فلربما قتلتموني أو تطرودنني شر طردة .. واعلم يا سيدي أن ملوك بلاد الأوهام كلهم ينحدرون من مدينة الأفيال عادة .. وذهبت إلى بلاد السودان ، وعملت عبدا وخادما حتى تمكنت من قتل العبد اللئيم بيدي هاتين ـ وأشار بيديه ـ ونصبت خادمي سعيد ملكا حتى قتلت السبع ، وكان همام قد عاش مع خيل ملك السودان حتى تمكنا من سرقة الحصان ، والخروج من بلاد السودان بسلام .. ولكنكم تفاجأتم بعودتي حيا ، فطلبت منا تاج الأميرة سعدى زوجة الملك فوزان لظنك أيضا بموتي ؛ ولأننا من أقارب الملك فوزان ألزمتك بوهب التاج للأميرة .. وسرت إلى تلك البلاد ، وأسررت بالأمر للملك فوزان ، وبعد تشاور مع زوجته أعارني التاج حتى أتمكن من تحقيق حلم والدي الذي قتل من أجله .

فقال جعفر : كيف يكون قريبكم فوزان هذا ؟

رد الأمير شديد : فأمه يا سيدي الملك خالة جدي من أبي ..فجئتكم بالتاج حيا على أمل أن آخذه من الأميرة بعد زواجنا .. وتم زواجنا كما تعلمون على خير ما يرام.. ومكثت بينكم أربعين يوما تزيد قليلا ، ثم استأذنت بالرحيل وقبل الرحيل عرفت الأميرة على نسبي وأهلي حتى تكون بالخيار إن شاءت سافرت وإن شاءت ظلت .. تغير لونها لأول الأمر ، ولم تتكلم ، وإن أبدت نفورا بعد ، ولما لم تحدثكم بالأمر علمت أنها راغبة بالخروج معنا لبلادنا .. وخرجنا بالتفصيل الذي تعلمونه ، ولما اقتربنا من القرية التي ينزل بها بعض رجالي استأذنتها بالذهاب إليهم وإعطائهم التاج ليوصلوه للملك فوزان .

قال جابر بن نادر : الأمير هنا لم يقل الحقيقة ، فهو كما يعلم السامعون أخذ التاج دون علم الأميرة ، وتابع الأمير كلامه قائلا : تركتها والعبدين وجاريتها وسرت بالتاج إلى أصحابي في قرية السعدة.. واعلم يا مولاي أنني لم ألحظ أن الأميرة تفكر بالهرب ، وظننت أن قلبها صفي من ناحيتي ؛ لأنه لا دخل لي بما فعله أبي سابقا .. أوصيت العبدين عليها ووصلت أصحابي ، وكلفت هماما بنقل التاج للملك فوزان ويعود لبلاد الأفيال ، وأخذت الرجال وسرنا حيث الأميرة لنتابع المسيرة نحو بلادنا ، فلم نجدها ومن معها ووجدنا بعض الأحمال فبحثنا عنهم هنا وهناك فلم نعثر لهم على أثر ، ولما لم نجد أثر عنف أو أثر غزاة فرسخ لدينا هربها ، فأرسلت خادمي إلى هنا يتشمم أخبارها لعلها رجعت إليكم ، فعاد بخفي حنين ، وفتشنا في القرى المجاورة فلم نصل لشيء ، ثم علمنا بمحاولة قتل همام قبل وصوله لبلاد التاج ، وصرنا نبحث عن التاج والأميرة ، ثم وجدنا صاحبنا هماما جريحا في إحدى القرى فاهتممنا به ، وقد سمع همام أثناء محاولة مصرعه اسم زيدان فسألنا الفلاحين عن هذا الاسم ، لا يعرفه أحد ، فزرت الملك فوزان وقصصت عليه حكاية التاج ، فظهر أن له ولدا يتزعم عصابة كبيرة من اللصوص وقطاع الطرق ، ولما قبض عليه اعترف بأنه استولى على تاج مع أحد الناس واشتبه عليه الأمر ، فلم يعرف أنه تاج أمه لعدم معرفته بخروج التاج من البلاد ؛ لأنني أخذت التاج من الملك خفية عن الناس .. وكان ذلك اللعين قبل القبض عليه يعرف امرأة غانية في بلاد الجبل الأعظم ، فأهداه لها فذهبت أنا وأخاه سليمان إليها فوجدناها تحتفل بزواجها من ابن ملك تلك المدينة ، فوصلنا البلدة يوم الاحتفال ، فقلنا نتكلم مع الملك بعد انتهاء الاحتفال ، فنزلنا في خان ، وكان زيدان اللعين بعمله هذا مع هذه المرأة اللعوب قد أغضب جماعته ، ففي يوم الفرح قتل اللصوص الفتاة وزوجها الأمير ، واستولوا على التاج والمجوهرات وهربوا من المدينة قبل زوال الليل ، وجاءوا ليبيعوه عند تاجر شهير عندكم .. فهذه قصتي يا ملك الزمان جعفر بن عاد .

وبعد صمت قال شديد : عرفنا أن التاج عندكم وأنكم قلقون على حياة ابنتكم .. فتأكد يا ملك الزمان أن ابنتكم حية ؛ ولكنها أرادت أن تختبر حبي الكبير لها وسأظل أبحث عنها لآخر

يوم في حياتي .. وأطمع منك يا ملك الزمان الملك المشهور بالكرم والجود والإقدام والشهامة سليل الملوك الكبار أن تهبني التاج لأعيده للملك فوزان .. وأنا سأبقى أسيركم حتى تظهر الأميرة نهر الأحلام .. وتتأكدون من حياتها وأنني لم أمسسها بسوء والله شهيد على ذلك .. .

وخيم الصمت على الحاضرين ديوان الملك ثم قال الملك : صدقت أيها الفارس .. ولكن أين ذهبت نهر الأحلام ؟

فقال شديد والأسف في عينيه : ما نزلت قرية أو مدينة أو بادية إلا سألنا عنها يا ملك الزمان! فهي قرة عيني التي جاهدت ملك السودان لأحظى بالقرب منها ومنكم .. وما كرهتها قط.. وما أتيت بلادكم منتقما ! .. بل أحبتها نفسي مع ما بيننا من دم .. وهل أجرؤ يا ملك الزمان أن أغدر بابنة الملك الكبير جعفر بن عاد ؟! .. نحن نقر أن والدنا أخطأ في حقك .. إنه كان يحب الزواج كثيرا من بنات الملوك ، بل استخطأه عدد من وزرائه ؛ ولكن الله غالب على أمره وأنا وجدتها مناسبة للمصالحة بين بلدينا ونسيان جروح الماضي .. نحن بإمكاننا قتل سيد كبير منكم ولكن كيف ننسى شدة انتقامكم رغم ما بيننا من مسافات ؟ .. وإذا أحببت قتلي يا ملك الزمان فدمي مهدور لك ؛ لكن عندي شعور كبير بأن الأميرة ستعود .. وافعل بي ما شئت وأنا أغفر لك دمي .

فقال الملك : بعد الكلام الشجاع الذي سمعته منك فأنت أصبحت مثل أبنائي.. وأنت فارس مقدام لا يفرط بك ، وما جرى بيننا من حروب عفا الله عما سلف ، وأنا مثلك أحس بأن الأميرة على قيد الحياة ، وأهلا بك وبفرسانك فأنتم ضيوف عندنا.



فأرسل شديد خادمه سعيدا يدعو من ظل من رجاله لضيافة الملك ، وبعد أيام دفع الملك جعفر التاج لشديد وهو يقول : أيها الفارس .. أنت تزوجت الأميرة عن جدارة وبسالة.. والأميرة غفر الله لها كانت غير محبة للرجال ، ولا الزواج.. فمن أجل ذلك وضعت تلك المطالب حتى لا تتزوج.. وحتى لا أظل ألح عليها بالزواج .. فتقدم بضعة شباب لها، ولم نعد نسمع أخبارهم ثم نسينا الأمر حتى ظهرت لنا .. وبذلنا جهدا لصرفك كما تعلم .. ولكنك أصررت على المسير لبلاد السدود وحققت ما لم نحلم به، فما كان أمامها إلا الرضوخ والاستسلام وكما قلت لي لما علمت من أنت؟ وابن من ؟ قررت الاختفاء من حياتنا ، فمنك لأنك ابن الرجل الذي تسبب بزواجها، ومنا حتى لا نرغمها على زوج جديد .. واعلم أيها الفارس أن بلاد برج الأبراج ترحب بك دائما والتاج وهبتك إياه وافعل أنت ما تريد .

نهض شديد وعانق الملك وقبل يديه وركبته وقال : أيها الملك العظيم!! .. تأكد بأنني سأستمر بالبحث والسؤال عنها .. وكل من يطرق مملكتنا سأسأله لعلي أعثر عليها .. وأنا مستأذن منك بالسفر لبلاد التاج لأرجع لهم هبتك .. وأحدثهم عن جودك وعدلك .. وإذا علمتم يا مولاي عنها شيئا لا تنسوا من إخبارنا .

وودع الأمير الملك ورجال حاشيته ، وانطلق بفرسانه وخادميه نحو بلاد التاج ، وفرح فوزان فرحا كبيرا بعودة تاج سعدى ، وعجب من كرم الملك جعفر ونخوته وتضحيته بالتاج رغم ضياع ابنته ، فأرسل وفدا كبيرا من رجاله لعقد معاهدة صلح أبدية بين البلدين بعدما رأى من جود جعفر الملك ، وشكر فوزان شديدا على وفائه وصدقه ، وعاد شديد لبلاد الأوهام ، وانشغل فوزان بالصلح مع بلاد برج الأبراج ، ودخل شديد بلاد الأوهام بعد غياب زاد عن ثلاث سنوات ، وبعد حين تزوج الأمير شديد من فتيات بلاده أخت للفارس همام ، أنجبت له البنين والبنات ، وأما همام الفارس فقد شفي من جرحه تماما وتزوج هو الآخر ، ولنتركهم ينعمون بملذات الدنيا ، ونعود لبطلة قصتنا الأميرة نهر الأحلام التي اختفت عن الأنظار في ذاك النهار .

غريب



قال جابر بن نادر : أيها السادة الكرام القصة لم تنته بعد ما الذي حدث لنهر الأحلام عندما فارقت زوجها شديد بن هدير؟.. لما تركها الأمير سائرا لأصحابه في قرية السعدة افتقدت التاج الجميل ، فأحست بأن زوجها يريد أن يغدر بها وهذا أول الغدر ، فلقد أخذ التاج خفية والأمير كما تعلمون أخفى عنها الكثير من الحقائق وهي كانت تفكر بالهروب قبل اختفاء التاج وذلك عندما علمت من هم أهل شديد وعشيرته فغلب على ذهنها أن كل أفعاله هذه لينتقم منها عندما تصل بلاده ، فلما غادرهم الأمير ووجدت التاج مسروقا زادت شكوكها ، فأمرت عبديها بالاستعداد للهرب قبل عودة الفارس، وقام شهوان وعرفان بالتخفف من كثير من الأحمال وحملوا اللؤلؤ والذهب ، وأسرعوا هاربين مع طرق القوافل نحو البلاد الساحلية ، واختلطوا مع القوافل ، وبعد عشرة أيام نزلوا مدينة الساحل ، وهناك سكنوا دون أن يشعر أحد من الناس أنهم غرباء ، فتظاهروا أمام الجيران أنهم يرحلون من حي إلى حي آخر ، وأخفوا أمرهم عن الناس ؛ ولأن هذه المدينة قريبة من البحر ويدخلها التجار برا وبحرا صيفا وشتاء نهارا وليلا ، فلم يعرف أحد نهائيا أنهم هاربون ، وقد اشتروا بيتا واستقروا فيه ، وما كادوا يستريحون من سفرهم حتى مات الخادم عرفان ، فحزنوا عليه وواروه الثرى ، ثم اكتشفت الأميرة بعد شهر من الزمان بإنها حامل من زوجها شديد ، فبدأت تهيئ نفسها لاستقبال المولود الذي أهل بموعده فسمته غريبا ، ثم أنكحت جاريتها سلام من عبدها شهوان ، وبعد سنوات عرفت الأميرة حياة وعادات مدينة الساحل ، وعرفت بعض العائلات والأسر ، وتعرفت على تاجر كبير عن طريق عبدها شهوان فشاركته في التجارة فصار العبد شهوان يعمل بأموال الأميرة مع التاجر هشيم ، واهتمت الأميرة التي سمت نفسها بسلمى برعاية ولدها غريب الذي أحبته حبا كبيرا ، ولقد أنجبت جاريتها غلامين عامرا

وعمران ، وكانت الأميرة بعد سنوات من نجاح تجارتها تتصدق على الفقراء والمساكين ، وتهتم بهم وتحسن إليهم ، فكانت الأرامل والأيتام يحبون أم غريب ويحبون ابنها ويترددون على بيتها لنيل الاحسان ، وقد عرض بعضهم الزواج منها ، فاعتذرت لهم ، ورفضت بعضهم بشدة ، وتخبرهم أنها تبغض هذا الحديث ، فما عادت النساء تتحدث معها في مثل هذا الموضوع ، وكان أهل هذه المدينة أكثرهم متعلقين بالتجارة ، ويهتمون بها كثيرا أكثر من الصيد ، فتجدهم يتنقلون بين المدن بقوافلهم أو مراكبهم المائية ، فتجد صبيانهم يعملون بنقل الأحمال من البحر إلى البغال والدكاكين .

كبر غريب وعامر وعمران وأصبحوا فتيانا ، فأرسلتهم الأميرة إلى الفارس جربوعة ليعلمهم الفروسية والدفاع عن أنفسهم مقابل الأجر الكبير ، وجربوعة هذا لم يقصر معهم أي تقصير، فقد كانت الأميرة كريمة معه ، فكان هو الآخر كريما مع الأولاد في تدريبهم وتعليمهم الفروسية وآدابها ، وهذه أيضا مهنته تدريب الشباب على الطعن والضرب وركوب الخيل ، ولما أصبح غريب ابن عشرين سنة كان قد اكتمل تأهله ؛ ليكون فارسا قويا يستطيع ركوب الجواد والمسابقة عليه ومبارزة الفرسان ، فشكرت الأم المدرب جربوعة وأحسنت مكافأته ، وسمحت له أمه بمرافقة شهوان في مصاحبة القوافل ، وعندما كان شديد يسأل عن أبيه هل هو حي أم ميت ؟ تقول له : إنها لا تدري وسيأتي يوم وتذكر له من هو أبوه ؟ ومن هم قومه ؟ فيلزم الصمت ولا يريد أن يكره أمه على أمر لا تريده .

فكان من عادة أهل هذه البلدة أن يرافق عدد من الفرسان القوافل لحمايتها من قطاع الطرق واللصوص والزعران مقابل مبلغ من المال ثمنا لتلك السفرة ، وذلك يكون حسب مدة الرحلة التجارية ، فلما أصبح غريب فارسا من الفرسان عرض عليه المشاركة في حراسة قافلة من القوافل ، والعجيب أنها سائرة لمدينة الأبراج ، وكان غريب قد وافق على العرض قبل أن يخبر أمه بالعرض ، فلما علمت انزعجت واضطربت وعادت بها الذكريات إلى تلك الديار ، وكان عبدها شهوان يتجنب السفر لتلك البلاد خوفا من أن يرى أحد الخدم والمعارف فيفسد على

الأميرة هربها، وخصوصا بعد كل هذه السنوات الطوال ، ولخوف الأميرة من انكشاف أسرارها الدفينة لم تمانع وأظهرت الرضا ، وكذلك العبد شهوان لم يكن موجودا بل هو مسافر في رحلة تجارية ، ففرح غريب على موافقة أمه وسار مع القافلة مسرورا وكان رفيقه أيضا في هذه الرحلة عامر بن شهوان ، وظل عمران عند أمه وأم غريب سلمى ، وصلت القافلة الكبيرة بعد عشرة أيام مدينة الأبراج ، ونزلت الأحمال بالقرب من أكبر الأسواق ليبيعوا أحمالهم ويشتروا غيرها ، ومن ثم تعود القافلة إلى بلاد الساحل وبعضها يسير إلى مدن أخرى ، وخلال مدة التبادل ينزل قائد القافلة والفرسان في الفنادق والخانات ، وبعضهم يستأجر بيتا كبيرا يقضون به الأيام المطلوبة ، فلما أفرغت الأحمال استأجر التجار بيتا كبيرا لهم وللحراس إلا من شاء أن ينزل في الخانات ، وعليه أن يكون على اتصال بقائد القافلة ؛ ليعرف موعد الرحيل ، وفي الصباح انشغل التجار بالبيع والشراء ، وأخذ غريب رفيقه عامرا وساروا يتفرجون على مدينة الأبراج سيرا على الأقدام ، وكما هو معلوم فمدينة الأبراج مدينة كبيرة وعامرة وجميلة ، وقد قادتهم أقدامهم إلى بئر ماء كبيرة في طرف البرج الأوسط ، وكانت بين أشجار عالية ، وكانت مزدحمة بالنساء من فتيات وعجائز يملئن أوعيتهن لنقلها للبيوت ، فتعجب الشابان من هذا المشهد فقال غريب : أين الرجال ؟! .. كلهن نساء . . لنقترب منهن ونطلب السقيا ونسمع أصوات نساء هذه المدينة .



ولما هبطا نحو البئر نفرت الصبايا من هذين الرجلين فصاح غريب : نحن غريبان .. نرغب بشرب الماء .. المعذرة منكن .

فسمع صبية قد كانت تجلس على صخرة كالمقعد تحت ظل شجرة : أيها الغريب من أي البلاد أنت ؟

فنظر إليها غريب فإذا هي صبية حسناء فاتنة ذات صوت رخيم وتعجب من جرأتها فقال لها : نحن يا أمة الله من مدينة الساحل جئنا أمس مع قافلة حراسا لها.. وهذه أول مرة ندخل هذه

المدينة ، فأحببنا الفرجة عليها ، فقادتنا أقدامنا نحو هذه البئر .. فشاهدنا هذا العدد الكبير من النساء فدهشنا .

فقال الصبية الجالسة على الحجر : يا سلامة ـ جارية لها ـ اسق الشابين .. وهذه أيها الغريب عين الساحر .. ماؤها مبارك ، ويستشفي الناس المرضى من سقائها، ويأخذون للبيوت منها ليستعملوها في صناعة الدواء والطهي وللبركة .. وما معنى حارس قافلة أيها الغريب ؟

قد طرب غريب لسماع صوتها ، وخفق فؤاده الشاب لها وتمنى زواجها ، فشرح لها عمل حارس القافلة ، وكان قد تناول هذا الأثناء الماء من الجارية سلامة وأعطاه لرفيقه وقال : أيتها الحسناء هل هذا بئر خاص بالنساء ؟

فردت عليه بصوت عذب : نعم أيها الفارس .. ولو رآك رجل هنا قد تخسر حياتك أو تطرح في السجن .. فهذه البئر خاص بالنساء .

فابتسم غريب المسلوب اللب بالفتاة التي تكلمه : أمن أجل شربة ماء يعاقب الإنسان أيتها الحسناء ؟ وكان قد اقترب منها بعض خطوات وقال بصوت ضعيف: ألا يزوجون الغرباء في هذه المدينة ؟!

فقامت الأميرة وقد نظرت للصبايا من حولها ، وقبل أن تتكلم قالت إحدى النساء : أيها الغريب هذه أميرة التي تتحدث معك فانصرف قبل فوات الوقت .

فهتف غريب وعامر معا : أميرة !! ثم قال غريب : أميرة ! ولكنها جميلة وشجاعة .. شكرا لك أيتها الأميرة على شربة الماء .. هيا بنا أيها الصديق .

فمشت الأميرة نحوهم قليلا وقالت : تمهل أيها الشاب . والتصقت به وهمست : أين تنزل ؟

فقال : اسمي غريب ! ونسكن في بيت قرب السوق الكبير يقال لصاحبه أبي الصقر .

ثم رفعت صوتها وهي تقول : مع السلامة أيها الشاب .

غادر غريب المكان وهو عاشق ولهان، لقد خفق قلبه لهذه الفتاة الشجاعة فقال لعامر : أخشى أن أكون قد وقعت في هواها يا عامر!

فرد عامر باسما : بل وقعت في هواها وقوعا تاما .

فقال وهو يحلم : لقد جذبتني نظرات عينيها وبريقهما الآخاذ .. ولكنها أميرة .. وأمي كيف ترضى ؟! وكيف يرضى أهلها بي قبل ذلك ؟! وأنا المجهول النسب .. الوضيع الشرف .. آه يا صاحبي العزيز !

قال جابر : بعد منتصف الليل دخل المنزل ـ منزل أبي الصقر ـ عبد اسود يسأل عن غريب ، ثم همس بأذنه بكلمات ، ثم استأذن غريب من القوم ، ثم خرجا معا ، وتبعهما سرا عامر ، ومشى العبد بغريب إلى مكان معين فوجد الفتاة الأميرة ملثمة في انتظاره هي وجاريتها سلامة .. فرحبت به وقالت له بصراحة : أيها الشاب لا أدري ما الذي جذبني إليك .. ؟!

وقال مقاطعا : وأنا أيتها الحسناء حدث لي ما أصابك ! .. أول مرة تجذبني فتاة بهذه السرعة .. ولكن كيف الزواج منك ؟!

فقالت : تخطبني من أبي .

فقال : وكيف ذلك ؟!

فقالت : يا غريب .. أنا اسمي شمس النهار زدني معرفة بنفسك وعن بلدك وأهلك ؟.

فقال : أنا سمتني أمي غريبا ، ومن سكان مدينة الساحل ، ولدت فيها منذ عشرين سنة ، وترعرعت فيها وأصبحت فارسا .. وقولي إنني من عامة الناس .. فهذه بلادي يا شمس النهار ومن أنت يا أميرتي الحسناء ؟

فضحكت الأميرة وقالت : أنا الأميرة شمس النهار ابنة الأمير سيف النهار .. أي حفيدة الملك الشيخ جعفر بن عاد سلطان وسيد هذه البلاد .

فهمس بقلق وخوف : جدك الملك جعفر !! ويحك كيف سأتزوجك يا ابنة الملوك ؟ لمَ سخرت من هواي ؟!

قالت : لا تخف .. ألست تحبني ؟! فرغم زواجنا من الأغراب صعب سأساعدك أيها الشاب ؛ لكن عليك أن تعاهدني على الوفاء وألا تغدر بي .

فقال بسرعة ولهفة الولهان : ويلاه ! ..إنك تشترينني .. إنني أعاهدك على الوفاء حتى الموت، وأن أكون لك الزوج المحب المخلص ..صدقيني بداخلي عواطف لا أعلم كيف أعبر لك عنها لتثقي بصدق دقات قلبي ؟

فقالت : عرفت ذلك من نظراتك عند عين الساحر .. وأنا نفسي لا أدري كيف تعلق بك قلبي من أول وهلة؟! .. أهذا هو الحب ؟!.. والغرام .. لست أدري .. ؟ المهم أنني همت بك ورضيت بك قرينا..كم يوما تقضي في بلادنا هذه ؟

فكان الفتى كأنه يعيش في رؤية فقال : لا أعلم أيتها الأميرة .

فقالت : سأعود الآن للبيت ، وسأفكر بالأمر وسوف أرسل لك عبدي أو أمتي سلامة ثم نلتقي بهذا المكان وندبر أمرنا .

وودعته وانصرفت مع جاريتها وخادمها الذي كان ينتظر خارج المكان، وطلبت من العبد أن يذهب بغريب إلى حيث ينزل ، وكان عامر قد تابع هذا اللقاء العاطفي عن بعد ، ولما انصرفت الأميرة أسرع عامر إلى البيت سابقا صاحبه، فلما عاد غريب قص عليه ما جرى ، ولم يخف عنه شيئا فقال عامر : شأن غريب يا غريب !



وبعد أيام ثلاثة أخبرهم قائد القافلة بالتهيأ للرحيل مساء، فقد تم بيع البضائع وشراء غيرها فقال غريب : ويحكم بهذه السرعة .

فقال أحدهم : ما بك أيها الفارس لعلك تعلقت بإحدى النساء هنا ؟

نظر إليه غريب باستغراب وقال : ما تقول أيها الرجل ؟!

وتركه قبل أن يسمع الجواب باحثا عن عامر، فوجده يحزم الأمتعة التي اشتروها من أسواق المدينة استعدادا للعودة ، وكان قد جهز الخيل وتفقدها فقال غريب : ما العمل ؟ .. كيف سأخبر الأميرة بالسفر ؟ لن أسافر ، سأتأخر عن القافلة ليلة واحدة ، ثم ألحق بكم لعل عبدها

يأتيني الليلة .

فقال عامر : أيها الحبيب .. ماذا ستقول للرجال ؟ .. وأخشى أن يصيبك شأن من هذه الجارية أمك يا غريب ماذا سيحل بها إن أصابك ومسك مكروه وشر ؟ .. عد وشاورها في الأمر قبل الإقدام .. وقد لا يأتي العبد الليلة .

فقال غريب : سأنتظره لنصف الليل فإن لم يحضر سألحق بكم .

فقال عامر : حسن هذا .. لو كلمت أمير القافلة بشأن هذا التأخير .

فساروا نحو قائد القافلة ، واستأذنه بالتأخر عن القافلة هذه الليلة لأمر خاص وهام رتبه مع بعض الأهالي في المدينة ، فقال له القائد : قد تتأخر القافلة ليلة أيها الفارس .. فأحد التجار لم يجهز حمولته .. فقد نتأخر ليلة فاقض مصلحتك براحتك .

شكره الفارس وفرح فرحا كبيرا لهذا التأخير ، وجاءه العبد في الليل وأخذه للقاء الأميرة العاشقة في نفس المكان السابق ومعها جاريتها سلامة فقالت : مرحبا بالفارس غريب .. مالك متغير اللون ؟!

فقال : القافلة تريد أن تتحرك قبل أن نرتب أمرنا .. وكيف أترك قلبي هنا ؟

فقالت : متى ؟ فقال : غدا بمشيئة الرب .

صمتت قليلا وقالت : لا بأس أيها الغريب .. سافر مع القافلة ، وارجع وحدك أي من غير قافلة .. ولسوف أدبر حيلة نتزوج بها .

فطار غريب من السعادة مع القلق المخيم عليه من هذا الزواج المفاجيء وقال : كم أغيب ؟ الطريق تحتاج إلى عشرة أيام حتى نصل بلادنا .

فقالت : ارجع بعد شهر .. لا تتأخر .. فقد أهرب معك .. فحدثت أمي برغبتي بالزواج منك فرفضت واستفظعت الأمر .. بعد شهر ترد على عين الساحر خفية فسأكون أنا أو جاريتي بانتظارك .

وودعته الأميرة العاشقة وداعا كله أشواق وهوى ، وعاد غريب إلى المنزل ، وكله تفكير وتوتر

وعجب لهذا الهوى العاجل .

استقبلت سلمى ولدها الوحيد بشوق شديد ، وحمدت الله على سلامته ورجعته ، ولما سمعت قصة عشقه لابنة أخيها عجبت لتصاريف القدر ، واشتد عليها الأمر ، وحزنت وطفرت الدموع في عينيها ، مما أدهش غريب ، ونصحته بعدم التفكير بتلك الأميرة ، وأن يتزوج فتاة من أهل هذه البلدة ، فكرر مشاعره قائلا : يا أماه ! لا صبر لي عنها إنها سحرتني بحسنها وروعتها وإقدامها .. إنها تريد أن تهرب معي إلى هنا إن رفضني أهلها .

وبذلت الأم جهدا كبيرا لثنيه عن هذا الهوى ، ومضت الأيام وهما يتشاجران تارة ويصطلحان تارة أخرى ، ولما ظل عشرة أيام للموعد المضروب بينهما ودع أمه، وأخذ عامر معه وسار نحو بلاد الأبراج .



قال الراوي : وهذا كله للأمر المقدر من الله تعالى ، لم تصبر الأميرة نهر الأحلام على مخاطرة ولدها ، فأمرت شهوان بأن يدبر لها أمرها فقال لها : بعد يومين هناك قافلة سائرة لبلاد الأبراج فعليك بالسير معها ، وعمران سيكون معك يا مولاتي

فلنترك الأميرة تستعد للسفر إلى بلادها الأولى ومسقط رأسها لتحافظ على فلذة كبدها المتيم بابنة أخيها وهو لا يعلم ، ونتابع الفارس غريبا الذي وصل بلاد الأبراج ، فحل هو ورفيقه في أحد الخانات ، وحسب الاتفاق كان عليه مع العصر أن يزور أو يمر من ناحية عين الساحر لعل الأميرة تلمحه أو جاريتها ، وكانت الأميرة ترسل يوميا جاريتها عصرا للمكان المذكور وذات عصر صدف الجارية ، فملئت جرتها وتبعته حتى ابتعدا عن العين ، فتوقف لها فأخذت

منه مكان المبيت ، وفي الليل جاءه العبد وأخذه للقاء الأميرة العاشقة ، وكان لقاء جميلا بينهما ، وفرحت بمجيئه ، وتأكدت من قوة حبه وهواه نحوها ، وعرض عليها أن يتقدم لخطبتها من والدها فقالت له : الأمر صعب للغاية .. فلا حل لنا إلا الهرب خفية من هذه المدينة لبلدك ، وهناك نتزوج فجهز نفسك ، وسيرافقني خادمي وجاريتي سلامة .. غدا سنلتقي هنا لنضع خطة الاختفاء والخروج .

وافترقا على موعد ، وكان الأمير سيف النهار قد علم من زوجته أن ابنته تهوى شابا غريبا ومن عامة الناس ، فوضعها تحت المراقبة ، ومضت الأيام ولم ير ابنته تلتقي مع أحد ، والسبب هو مغادرة غريب كما تعلمون لبلاده ، ولكن قبل أن يتقرر وقت الهرب اطلع سيف على تصرفات ابنته مع رجل غريب ، فاخضع عبد شمس للتحقيق فاعترف لسيده بغرام الأميرة للشاب الغريب ، واعترف له أنهما يدبران للهرب ويستعدان لذلك ، فطلب منه سيف أن يستمر في دوره وأن يعلمه بليلة السفر ، شعرت الأميرة وربما تأكدت من انكشاف أمرها ؛ ولكن الهوى والصبابة غلبا عليها فلم تأخذ جانب الحكمة والحذر ، وأصرت على الهرب مع حبيبها ؛ لأنها كانت ترى من المستحيل رضا أهلها عن زواجهما ، فحددا ليلة الهروب ، فطلب غريب من صاحبه عامر أن يشتري حصانا ، وينتظرهم خارج أبواب البلدة إلى أن يلحقا به ، ونفذ عامر الأمر فاشترى حصانا للأميرة وجاريتها ، وخرج في النهار من الباب المتفق بينهم الخروج منه ، وفي الليلة المذكورة خرجت الأميرة بعد منتصف الليل كعادتها مع جاريتها وعبدها الذي أبلغ سيده بهذا الموعد ، والتقى غريب بهم بالقرب من مدخل المدينة ، وقبل أن يغادروا البوابة كان الفرسان يحيطون بهم ، فأسقط بأيديهم ، وكان سيف النهار على رأس الفرسان فصاح بابنته : ما الذي تفعلينه يا شمس؟! أتريدين الهرب مع هذا الإنسان الغريب ؟ أتريدين العار لنا ؟! .. أيها الفرسان خذوه للسجن وأتوني به صباحا .

قاد الأمير ابنته لقصره ، وعاقبها بشدة من بين صفع وضرب ، وأمر بحبسها في غرفة خاصة ، وانتشر الخبر في المدينة ، علم الناس أن ابنة ولي العهد حاولت الهروب من المدينة مع رجل غريب

وعلم عامر بمصير صاحبه فانطلق سريعا نحو مدينة الساحل ، فلقد أوصته أم غريب بأنهم إذا تعرضوا لأذى بمدينة الأبراج فعليه أن يعود ليخطرها، فهي قد ادعت أنها تعرف أميرا كبيرا في تلك البلدة يسكن في قصر الملك جعفر ، وفي الطريق التقى بالقافلة الآتية من بلاد الساحل ، ولما جلس مع الفرسان حماة القافلة أخبره أحدهم أن أخاه عمران مرافق للقافلة مع أم غريب، ففرح بذلك وأسرع للالتقاء بهم ، وكانت الأميرة رأت في منامها منذ أيام حلما مزعجا ، فلما قص عليها عامر القصة قالت لعمران هذه هي رؤياي يا عمران التي قبضت نفسي إذن علينا بالعجلة والانفصال عن القافلة اخبر أمير القافلة برغبتنا يا عمران .

اخبروا الأمير وأسرعوا مسرعين نحو المدينة قبل أن يصيب غريبا مكروه .

قال جابر بن نادر : أحضر الجند غريبا أمام سيف النهار ، فقام بصفعه والبصق عليه وتحقيره وقال له : ويلك!! ألم تعلم بأنها أميرة ؟! كيف تطاوعها يا حقير ..؟



فقال غريب بانكسار وحزن : غلبني الهوى يا سيدي ! فلم أعد أميز بين الليل والنهار .. افعل بي ما شئت ..وأرجوك أن تعفو عنها ولا تمسسها بسوء .

فصاح سيف النهار : ألا تعلم أن جريمتك هي التغرير بأميرة من الأميرات ومحاولة خطفها أيها الشاب الطائش ؟! أليس لك عقل ؟!.. سأترك أمرك للقاضي الذي سيقوم بتقديم رأسك للمشنقة .

فصاح غريب فيهم : ليس مهما .. افعلوا بي ما تشاءون ولكن حافظوا على حياة الأميرة .. أوقعوا بي كل عذاباتكم .. وكل حقدكم ..ولكن ارحموا الفتاة التي أسعدتني بضع ساعات .

فأمرهم الأمير بنقله للسجن وتسليمه للقاضي ، وعليهم أن يسرعوا ويعجلوا بالحكم ليكون عبرة للرعية كلها ، وقدموه للقاضي في نفس النهار ، وتمت محاكمته وقد اعترف بجريمته وأنه كان ينوي خطف الأميرة والهرب بها إلى بلاده ، فقضى عليه القاضي بالموت على هذه الجريمة

الكبرى ، وتأديبا لغيره من المغامرين والصعاليك، وحدد يوم التنفيذ ومكان التنفيذ في ساحة البرج الأوسط أمام العامة ليكون عبرة للمتطاولين على المقامات العليا ، لقد أدرك غريب أنه ارتكب جريمة كبرى في حق السلطان ؛ ولكن بعد فوات الأوان ، لقد كان في غفلة كبيرة.. فبكى على حاله .. وتذكر أمه سلمى وحزنها عليه .. وكم نصحته ووعته وأنها تعيش بحياته ، فكم قد يسبب لها من أسف وحزن وبكاء وربما تموت بموته ، وبكى كذلك على الأميرة شمس النهار التي باعت نفسها وسمعتها وغناها من أجل الحب الذي أصابهم ببلواه .. فكان يكثر من السوأل عنها ، فعلم منهم أنها محبوسة في قصر والدها الأمير سيف .

قال جابر بن نادر : علمنا أيها السادة الكرام أن الأميرة العاشقة توسلت لأبيها كثيرا بأن يعفو عن غريب ، وبينت له أنها هي التي أطمعته بها ، وأنها هي التي أقنعته بالهرب بها ، فذكر لها الأمير أن القاضي حكم عليه بالموت والصلب في ساحة ميدان البرج الأوسط ، ولا وقت للتراجع والصفح ، فأخبرت أباها إن مات غريب فستقتل نفسها ولا تبالي ، فقال لها الأمير مصرا على الحكم : افعلي بنفسك ما شئت سيموت سيموت ، ولا أستطيع نقض حكم القاضي وسأزوجك قريبا بعد نسيان هذه الفضيحة من أحد الفرسان يا حمقاء .

فصاحت وهي تبكي بكاء الثكالى : لن أتزوج سوى غريب ، ولسوف أقتل نفسي يا أبي إن مات هذا الرجل بسببي .

فغضب عليها سيف وقال وهو يخرج من غرفتها المحبوسة فيها غاضبا : لن آسف عليك أيتها الشقية .. فأنصحك أن تأكلي ما يقدم لك قبل أن أحرمك منه لتموتي جوعى .

علم الناس بيوم إعدام غريب الشاب الغريب الذي حاول الهرب بالأميرة شمس ابنة الأمير سيف النهار ، فلذلك هرع الخلق إلى ساحة البرج ليشاهدوا ذلك المنظر وهو منظر قتل غريب وبعد الظهيرة حضر الجنود وهم يحملون غريبا لساحة الإعدام ، ونصب عمود الصلب وصلب عليه الشاب ، واستعد الجلاد لطعنه بالرمح القاتل ، وأحاط الجند بعمود الصلب المنصوب على مصطبة عالية ، وجاء الأمير سيف النهار ومعه حاشيته وبعض فرسانه ، فجلسوا في مكان قريب

من منصة الموت ليشاهدوا هذا المنظر الرهيب ، ووقف أعوان القاضي قريبا من منصة الموت ، ولوح الجلاد برمحه في الهواء أمام الناس المحتشدين ، وهو يبدى استعداده للطعن ، وتقدم مندوب القاضي الذي كان يقف بين أعوان القاضي ليقرأ من منبر صغير بيان الحكم على غريب فقال : اسكتوا الجمهور .. اسكتوا الجمهور .

فهدأت الأصوات شيئا فشيئا فصاح مندوب القاضي : هذا الشاب المصلوب أمام عيونكم أيها الناس حكم عليه بالموت .. لماذا ؟ .. لأنه غرر بأميرة شريفة عفيفة وأراد خطفها والهرب بها .. أراد خطف حفيدة الملك جعفر بن عاد .. فحكم عليه مولانا القاضي بالموت أمام العامة ليكون عبرة وعظة لكل من يفكر ويدبر ويسيء لبنات الأمراء والسادات .

ثم تلا نص حكم القاضي بإعدام غريب ، ثم نزل عن منبره ، وتقدم نحو الشاب المصلوب وقال له : هل من رغبة ترجوها قبل الموت .

فطلب شربة ماء ، فلما شربها صاح : أيها الناس .. فقط ارحموا الأميرة شمس النهار من بعدي وداعا يا شمس النهار وداعا يا شمس النهار ..

ابتعد نائب القاضي عن منصة الإعدام ، وقبل أن يتقدم الجلاد لطعن المصلوب دخلت الساحة امرأة كاشفة عن شعرها وهي على ظهر جواد تصيح : أيها الجلاد توقف .. لا تقتل الأمير غريب بن الأميرة نهر الأحلام .. فأنا الأميرة نهر الأحلام ابنة الملك جعفر وهذه المصلوب حفيد جعفر توقف الجلاد عن طعن المصلوب في صدره ، وهب سيف النهار والأمراء واقفين ينظرون للمرأة التي تصيح بأعلى صوتها وهي تقترب من منصة الموت ورمت نفسها عن الجواد وهي تصرخ : ولدي ولدي ولدي حبيبي !

ارتفع الهرج والصياح في الساحة ، واقترب الأمير سيف النهار من المرأة التي سمعها تذكر اسم نهر الأحلام .. ولما أصبحا وجها لوجه صاح الأمير : نهر الأحلام .. نهر الأحلام !.

اقتربت الأميرة من عمود الصلب وهي تولول وتصيح : ولدي حبيبي ! . . جاءت أمك يا غريب .. حلوه أيها الجنود .

فصاح الأمير سيف المذهول بالجند : حلوا هذا المصلوب .. ألم تسمعوا أمر الأميرة.. أختاه واحتضن الأخ أخته وهو يردد: نهر الأحلام !.. نهر الأحلام !.. أما زلت على قيد الحياة .. هذا ابنك يا نهر الأحلام ! .. أنا خاله .. يا ويلاه لو قتل يا نهر الأحلام !

حل وثاق غريب المندهش مما يجري ، واحتضن أماه وهو يبكي ويقول : أماه !.. أماه ! .. ما الذي سمعته منك ؟!

فقالت وهي تعانقه : ستعرف كل شيء يا حبيبي .. الملك العظيم جعفر هو جدك ! .. وهذا خالك !

فهمس حالما : شمس ابنة خالي .. الله .. الله !!

تعانق سيف مع ابن أخته ، وهو يقول : كدت أن اقتل ابن أختي .. يا ويلاه!.. لو تأخرت أمك قليلا لقضيت عمري حسرة عليها .. سآمر القاضي إذا حكم على إنسان بالموت أن ينفذ فيه الحكم بعد سنة ؛ لأنه قد يجد جديد بعد الإعدام فنندم حيث لا ينفع الندم .

اندهش الناس لهذا المشهد العجيب ، فهم بين باك وبين ضاحك .. فهذا الفارس الذي كانوا ينتظرون موته هو حفيد الملك جعفر من ابنته نهر الأحلام المختفية منذ ما يزيد عن عشرين سنة تذكر القدامى منهم ما جرى من اختطاف نهر الأحلام قبل ما يزيد عن ربع قرن من ملك بلاد الأوهام ، وها هو حفيده كاد أن يخطف ابنة الأمير سيف .. أعاجيب .. أعاجيب هذه الدنيا .. فكنت ترى الناس مجهشين بالبكاء وسيف يقول : أنت ابن أختي .. أنت ابن أختي !

وسلم الأمراء على الأميرة ، وتقدم عامر وعمران وعانقا الأمير غريب وهما أيضا مندهشان مما عرفا ، وانتشر الخبر في المدينة حتى وصل للملك جعفر وحتى الأميرة شمس النهار نقل بعضهم لها هذه المفاجأة فتعجبت من الأقدار ، واستقبل الملك الأميرة نهر الأحلام واحتضنها وهو يبكي أشد البكاء وهي تبكي مثله وتقول : العفو يا أبي .. العفو يا أبي .

ارتفع نحيبهم وقال الملك من بين دموعه : عشرون عاما يا نهر الأحلام تبتعدين عنا .. عشرون عاما يا أميرة الأبراج .. أوه الأيام تعبر بنا سريعا .. كدت أن تسقينا حسرة ابنك يا قرة العين

هذا ولدك يا ابنتي .

تقدم غريب واحتضن الملك جعفر بن عاد بذاته وهو في استغراب شديد ، ثم قبل يديه والدموع تنساب على خديه مثلهم ويقول : العفو يا جداه !

وارتفع البكاء من جديد ، وتساقطت الدموع المحبوسة ، وارتفع النشيج وهمس جعفر : الحمد لله أن رأيتك يا نهر الأحلام قبل موتي ..كنت أخشى الموت قبل أن أعرف بأنك حية أم أكلتك الوحوش .. هذا ولدك يا نهر الأحلام .. إنه قوي البدن ويشبه أباه شديدا .. هذا ابن أختك يا سيف النهار .. أين شمس النهار ؟ .. التي أتتنا بالسعادة بعد أن ذقنا منها كأس العار .. يا لها من دنيا عجيبة ! ولو لم يحدث هذا العشق ما رأينا الأميرة نهر الأحلام .. أين ابنتك يا أمير ؟ .. ألا تريد أن تحضرها لترى عمتها وزوجها الحبيب وابن عمتها .

قال سيف : هي في الطريق يا أبي .

جاءت الأميرة شمس النهار والأميرات والأمراء وأبناؤهم ليسلموا على الأميرة نهر الأحلام وولدها غريب ، فهم يسمعون اسمها وقصتها منذ سنوات .. وها هي الأميرة بشحمها وعظمها تظهر على الحياة من جديد .

قال الراوي : كان يوما مشهودا في مدينة الأبراج ، وأعلن الملك العجوز جعفر الأفراح سبعة أيام لعودة الأميرة ، فعمت الأفراح في القصور والساحات الكبيرة وتم مد بسط الأكل والشراب لأهل المدينة ، وأرسل جعفر الملك رسولا لبلاد الأوهام ليخبرهم بعودة الأميرة بعد طول اختفاء ، وعرف غريب الحكاية وعرف جعفر والأمراء الحكاية ، فذهب عامر وعمران لبلاد الساحل لإحضار والديهم وأموالهم ، وربما كان أكثر الناس فرحا في المدينة الأميرة شمس التي شكرت الله شكرا عظيما على تدبيره الحكيم ، وحمدت الله حمدا كبيرا على نجاة فارسها المحبوب ، وكانت تقضي نهارها مع عمتها نهر الأحلام تسمع منها قصة حياتها الغريبة ، وتقرر أن يكون زفاف الأميرين عند وصول الأمير شديد من بلاد الأفيال .

ولم يطل الانتظار فلم يكد يصل إليه الرسول ويهمس بأذنه القصة ، فيأخذ الرسالة ويصعد بها



إلى أخيه الملك شداد ، وتجهز الأمير خلال ساعات هو وحاشيته وفرسانه وأبناؤه الثلاثة زيد وزياد وزيادة وابنتاه هند ووعد ليتعرفوا على أخيهم وزوجة أبيهم الأميرة نهر الأحلام ، وكان اللقاء دافئا وحارا بالقبلات البريئة بين الجميع ، وهمس شديد بصوت مبحوح وهو يسلم على الأميرة نهر الأحلام : ما الذي جرى بيننا لتهربي منا ويصيبنا هذا العذاب كل هذه السنوات .. ولكنه أمر الله، وكان قدرا مقدورا سلام عليك أيتها الأميرة العزيزة .. أين ولدنا غريب ؟! .. عشرون سنة أيتها الأميرة وهو لا يعرف أهله وقومه ! .

وبعد العتاب والترحاب والتعارف بين الأولاد ، وفرح الجميع بهذا اللقاء، وسروا جميعا بزواج الأمير غريب بن شديد من الأميرة شمس النهار بنت الأمير سيف النهار ، وكان عرسا تغمره السعادة والحبور، وقد اجتمع الأحباب بعد غياب، وفرح الملك جعفر بزواج حفيديه ، وطلب من شديد البقاء عنده عندما استأذنه بالسفر لبلاده ، فاعتذر الأمير بأدب جم ، وطلب من الأميرة نهر الأحلام السير معه لتعيش في كنفه زوجة معززة مكرمة حبيبة أميرة سعيدة ، فاعتذرت الأميرة له بأدب كبير ، وقالت له : ما زلت لك زوجة أيها الأمير الفارس ذو القلب الكبير الشجاع .. ولكني سأبقى بجوار والدي الحبيب وولدي غريب إذا أذنت له بالبقاء بجواري .. وصمتت قليلا ثم أردفت قائلة : زوجي الحبيب .. آخي سيف الليل عنده شاب كريم جميل يرغب بالزواج من ابنتك الكبرى الرائعة الأدب والحسن هند .. فلقد رأها وأعجبته وقال لي : يا عمتي لو كلمتك زوجك الأمير بشأنها .. وها أنا كلمتك يا زوجي .

ضحك شديد وقال : على الرحب والسعة أيها السادة فلسوف أجهزها وأرسلها لكم .

فقال الملك جعفر : جهازها عليّ أيها الأمير .. وسأزور بلادكم ونخطبها منك ومن عمها الملك شداد ونعود بها إلى بلادنا .. وإذا رغب أبناؤك الآخرون بالزواج من بناتنا فنحن نرحب بهذا .

فضحك الأمير شديد وقال : هم صغار أيها الملك العظيم ! واعلم أن بلاد الأفيال كلها ترحب بك زائرا لها وضيفا كبيرا يحل في ربوعها .. ونحن في انتظار قدومكم لبلدنا العزيز يا ملك

الزمان .

وودع الأمير شديد الملك جعفرا والأمراء وزوجته نهر الأحلام وولده غريبا وسار وحاشيته نحو ديارهم ، ولما تهيأ الملك جعفر للسفر تحركوا ، فقد تجهز ألف فارس لصحبته وعدد كبير من الأمراء والأميرات والأحمال ، ونصب سيف النهار ملكا على البلد لحين عودة أبيه من بلاد الأوهام ، وسار بهم جعفر حتى حطوا رحالهم في بلاد الأوهام ، وكان الملك شداد وكبار قومه قد خرجوا يستقبلون الضيوف قبل دخلوهم المدينة ، ولما التقى الفريقان تعانقوا وتصافحوا ، وذبحت لهم الأغنام ، وبعد الاستقبال الكبير هموا بدخول المدينة بسلام ، وقد وقف الملك جعفر يريد أن يضع قدمه في ركاب الجواد ليصعد عليه وحوله الأمراء والفرسان فقبل أن يصعد قال وهو ينظر يمينا وشمالا : أيها السادة قبل أكثر من خمس وعشرين سنة دخلت هذه الأمارة غازيا محاربا ناقما .. وها أنا اليوم أريد أن أدخلها محبا مسالما خاطبا لابن ولدي سيف الليل .. أليست هذه دنيا عجيبة ؟! لا حب فيها يدوم .. ولا بغض فيها يدوم .. سلام عليك يا دنيا !

فهمهم السامعون : بلى .. بلى .

ورفع الملك الشيخ رجله ليضعها في الركاب ليعتلي ظهر الجواد ؛ ولكنه تزحلق لم تدخل قدمه ركاب الجواد فوقع على الأرض ، فهجم عليه الأمراء ليرفعوه ولكنه قد فارق الحياة فمات ، مات أخيرا الملك جعفر بن عاد قبل دخوله مدينة الأوهام .

تمت بحمد الله

قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز ووليدها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

الأميرة نهر الأحلام



الملك جعفر ملك من كبار ملوك ذلك العهد

ولديه جند أقوياء

خطفت ابنته نهر الأحلام

فشن حربا شرسة وقتل الخاطف ودمر بلاده

ثم استطاع ابن الخاطف القتيل الزواج منها

فلما علمت الحقيقة هربت واختفت في ارض الواسعة

وكانت حاملا فولدت غريبا

وحكم عليه بالموت في مسقط راسها

فاضطرت للظهور وإنقاذه

فهذه قصة الأميرة نهر الأحلام